Alive PDF Merger: Order full version from www.alivemedia.net to remove this watermark!

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحبيب بورقيبة ودوره في الحركة الوطنية التونسية 1934-1952م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ العالم المعاصر

إعداد الطالبة:

بن قاسم حسينة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
محمد الأمين بونيف	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا
كمال بيرم	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا
قويدر عاشور	أستاذ مساعد –ب–	مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحبيب بورقيبة ودوره في الحركة الوطنية التونسية 1934-1952م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ العالم المعاصر

إعداد الطالبة:

بن قاسم حسينة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
محمد الأمين بونيف	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا
كمال بيرم	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا
قويدر عاشور	أستاذ مساعد –ب–	مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

الإهداء

باسم الله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى عليه أزكى الصلاة وأحسن التسليم
أحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم
أما بعد:
أهدي ثمرة جهدي إلى من أرشدني وعاني من الصغر إلى الكبر من رسم ظلال النجاح أمامي وتكبد العناء لإسعادي.
إلى من كان ولا يزال سند حياتي: أقف لك عرفانا وطاعة وحبا إلى أبي الغالي "الطاهر".
إلى نبع الحنان ورمز العطاء ومنبع السعادة إلى التي لو جبت الدنيا كلها سعيا لخدمتها لما وفيتها قسطا من تعبها إلى أمي الغالية "نعيمة".
إلى أشقاء القلب وسندي في هذه الحياة إلى من زرعوا في كياني ونفسي المبادئ الصافية والأخلاق السامية: سمير، رضا، فاروق.
إلى اللواتي قاسموني وشاركوني حياتي حلوها ومرها: سماح، عبلة، كريمة، صبرينة، ريان، أحلام، صورية.
إلى شموع القلب المضيئة: أمير، أميرة، جنى، جمانة
إلى شقيقات روحي ورفيقات دربي صديقاتي العزيزات: يسمينة، حسينة، أسماء
إلى كل من سكن قلبي ونسيه قلمي أهدي ثمرة جهدي.

شكر وعرفان

"ولئن شكرتم لأزيدنكم"

أتقدم بالشكر الجزيل أولا لله عز وجل الذي منحني الصبر لأتم البحث ومنّ عليّ بفضله وبركاته سبحانه وتعالى إلى المصطفى الأمين خير برية محمد صلى الله عليه وسلم، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة التاريخ بالمسيلة وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور: "بيرم كمال" الذي كان عونا لي بإسداده النصائح وحسن المعاملة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من دعمني وساندني وأمد لي يد العون طيلة مشواري الدراسي الأخ "فارق" له مني أسمى معاني الشكر والاحترام والتقدير

وأسأل الله أن يجزيه عني خير ما يجزي به المحسن عن إحسانه فحفظه الله وأدامه فخرا لنا

مقدمة

مقدمة:

شكلت الحركة الوطنية مساهمة في توعية الشعب التونسي، فأيقظته من سباته من أجل مناهضة الاستعمار وسياسته،من خلال، الدفاع عن حرية وكرامة وشخصية المواطن التونسي وحقه في الحياة وتطهير الأرض التونسية من المستعمر الفرنسي، ومن الشخصيات بارزة التي تركت بصمتها في التاريخ التونسي فكريا وسياسيا، موضوع الدراسة "الحبيب بورقيبة" و دوره في الحركة الوطنية التونسية،الذي أردت فيه الوقوف على المسيرة النضالية "للحبيب بورقيبة" في تونس وخارجها وكذلك تحليل مساره النضالي ومعرفة كيف دافع عن قضية وطنه وشعبه من أجل التخلص من الاستعمار الفرنسي، رغم العراقيل والصعوبات التي واجهها خلال مساره النضالي وصولا إلى الاستقلال، حيث سنحاول من خلال هذه الدراسة معرفة مدى مساهمة بورقيبة في الحركة الوطنية التونسية.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع:

- معرفة هذه الشخصية وإعطائها ما تستحقه بالكشف عن دورها خلال الحركة الوطنية التونسية.
- الرغبة في دراسة المواضيع التي لها علاقة بالحركة الوطنية خلال الفترة الاستعمارية.
- محاولة معرفة ما هي الأساليب التي اتبعها القادة التونسيون للتخلص من الاستعمار.

الإشكالية:

تتمثل إشكالية الموضوع في: ماهي الاسهامات التي قدمها الحبيب بورقيبة من اجل استقلال تونس وتتدرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية؟

- من هو الحبيب بورقيبة؟
- ما هو دوره في الحزب الدستوري الحر القديم؟
- ما هو دوره في الحزب الدستوري الجديد؟

حدود الدراسة:

الفترة الزمنية لهذا البحث تنحصر بين سنتي 1934-1952م وهي فترة حافلة بالأحداث، كان للحبيب بورقيبة الدور البارز فيها من حيث مساهمته في ازدهار الحركة الوطنية التونسية لان1934تمثل سنة تأسيس الحزب الدستوري الجديد برئاسة بورقيبة و1952تمثل اندلاع الثورة من أجل استرجاع السيادة الوطنية .

منهج الدراسة:

اتبعت في دراسة هذا الموضوع **المنهج التاريخي الوصفي:** من خلال تتبع الأحداث التاريخية وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني ومعرفة أهم المحطات التي عرفتها الحركة الوطنية التونسية مابين الفترة الممتدة 1934-1952م.

المنهج التحليلي:

اعتمدته في تحليل بعض المواقف التي صدرت عن بورقيبة تحليلا موضوعيا من خلال نشاطه في الحركة الوطنية التونسية.

صعوبات الدراسة:

لا يخلو أي بحث من الصعوبات، وكأي باحثة واجهتني جملة من الصعوبات منها:

- صعوبة الوصول إلى الوثائق الأرشيفية.

- نقص المادة العلمية خاصة فيما يخص دور الحبيب بورقيبة في الحزب الدستوري التونسي.
- تحديد الإدارة لعدد الصفحات تجعل من البحث محدودا

خطة الدراسة:

قسمت موضوع البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة والتي جاءت كالآتي:

الفصل الأول: تناولت فيه التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول: مولد ونشأة الحبيب بورقيبة تعرضت فيه إلى مولده وأصوله والأسرة التي ترعرع فيها، أما المبحث الثاني: ثقافته حيث تتبعت مساره الدراسي عبر كل مراحل، أما المبحث الثالث تناولت فيه مساره النضالي والقيادي، المبحث الرابع: تناولت فيه آثاره فكرية

الفصل الثاني: نضال بورقيبة ضمن الحزب الحر الدستوري التونسي، وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول تناولت فيه ظروف نشأة الحركة الوطنية التونسية، المبحث الثاني: تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي.

المبحث الثالث: نشاط الحزب الحر الدستوري التونسي، أما المبحث الرابع: نشاط بورقيبة في الحزب الحر الدستوري التونسي.

الفصل الثالث: نضال بورقيبة ضمن الحزب الدستوري التونسي الجديد 1934-1952 وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد والصراع بين الجيلين.

المبحث الثاني: نشاط بورقيبة ما بين (1934-1939) تناولت فيه نشاط بورقيبة منذ بداية تأسيس الحزب.

المبحث الثالث: نشاط بورقيبة ما بين (1939-1945) تناولت الأحداث التي جرت في تلك الفترة وموقف بورقيبة منها.

المبحث الرابع: نشاط بورقيبة ما بين (1945-1952) درست فيه نشاط بورقيبة وهو في القاهرة وموقفه من المقاومة.

مصادر ومراجع البحث:

اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع أبرزها:

بورقيبة سيرة شبه محرمة لمؤلفه الصافي السعيد، وهو كتاب مهم يحمل معلومات دقيقة عن مسيرة الحبيب بورقيبة من مولده إلى غاية وفاته.

الحبيب بورقيبة سيرة زعيم لمؤلفه الطاهر بلخوجة.

المراجع: نذكر منها

كتاب الحركة الوطنية ودولة الاستقلال لمؤلفه خليفة الشاطر حيث مكنني هذا الكتاب من معرفة نشاط بورقيبة داخل الحزب الدستوري التونسي الجديد بالإضافة غلى المصادر والمراجع اعتمدت على مجموعة من الأطروحات الجامعية والتي وجدت فيها معلومات لم أستطع الوصول إليها منها: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1999-2000) أطروحة دكتوراه لعز الدين معزة.

الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934-1954) دراسة مقارنة وهي أطروحة دكتوراه لقدادرة شايب ولقد أستفدت منها خاصة في نشاط بورقيبة ضمن الحزب الدستوري التونسي الجديد.

الفصل الأول

شخصية الحبيب بورقيبة

أولا- مولده ونشأته

ثانيا- ثقافته

ثالثا- مساره النضالي والقيادي

رابعا- الآثار الفكرية للحبيب بورقيبة

أولا- مولده ونشأته:

ولد الحبيب بورقيبة في حي الطرابلسية بمدينة المنستير في 03-أوت-1903 [1] وهو ثامن إخوته وكان أصغرهم وهو من عائلة من الطبقة المتوسطة، ووالده هو علي بن الحاج محمد بورقيبة، ولد حوالي 1850، وتوفي في ديسمبر 1925، وأمه فهي فطومة خفاشة ولدت سنة 1865 وتوفيت في 17 نوفمبر1913 وهي ابنة للسيدة خدوجة مزالي، أما أصوله فينتمي بورقيبة إلى عائلة بورقيبة ذات الأصل الطرابلسية، وينحدر من قبيلة الدرافلة الليبية التي تنقسم إلى مجموعة من الفروع هي النواصف، المعانقة، السقاسف وهو الفصيل الذي تنتمي إليه عائلة بورقيبة، استقرت هذه العائلة بمدينة مصراتة الليبية وتأثرت بالصراع الحاد الذي دار بين أفراد الأسرة القرملية ليهاجروا إلى تونس.[2]

إنّ جدّ الحبيب بورقيبة جاء من مصراتة "ليبيا" وأنّ الجدة خدوجة مزالي قادمة من بلاد السوس البربرية في المغرب، ومنه نستنتج أنّ الحبيب بورقيبة لم يكن من أصول تونسيّة لا من جهة الأب ولا من جهة الأمّ، بقي الحبيب بورقيبة طوال حياته يبحث عن جذوره البعيدة، فهو لم يتنكر أبدا لجذوره الليبية الذي ردده مرارا من أنّ عائلته قدمت من ليبيا هاجر جدهم عبر البحر إلى تونس سنة 1795 بسبب ضغوط سياسة القرمانليين، وتذهب بعض الآراء بعيدا حيث تؤكد أن جذور هذه العائلة ألبانية، في حين يؤكد آخرون من أصل يوناني من جزيرة سالوينك.[3]

كثيرا ما افتخر بورقيبة بعيونه الزرقاء وكثيرا ما كان يتساءل هل هو من أصل عربيّ أو من أصل أوروبيّ، ولم يتوقف الأسئلة حول أصوله فقط، ولكن مست حتى ديانته بسبب إثارته لمتاعب كثيرة لعلماء الدين الإسلاميّ حيث حاول تغيير بعض أركان

1- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج 2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 157.

2- خليصة غفصي: بورقيبة والثورة الجزائرية1954-1962، رسالة ماستر، التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2011-2012، ص 06.

3- عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 94.

الإسلام، حسب اجتهاداته البعيدة عن الشريعة الإسلامية، ويرى بعض علماء الدين أنّ بورقيبة طعن في القرآن ووصفه بأنه متناقض، أما بورقيبة أنكر ذلك واعتبر نفسه مسلما[1]، ومع ذلك ستظل ديانة بورقيبة غامضة مثل غموض أصله اليوناني أو الألبانيّ، لكن هناك افتراض عام هو أنّ عائلة بورقيبة تنتمي إلى الإمبراطورية العثمانية سواء كان من سالونيك أو من ألبانيا وأنه ينتمي إلى عائلة الإسلام منذ قدومها إلى مصراتة.[2]

ولكن ما يزال هناك غموض حول تاريخ ميلاده، حيث قال:" ولدت سنة 1901 ولكن عند تسجيلي في كلية الحقوق بباريس 1924، قد أخطأ كاتب الكلية وسجل بدل تاريخ ميلادي سنة 1903، وبما أنني كنت كبيرا في السنّ فقد رضيت بذلك التاريخ واحتفظت به، ولكن هناك مصادر أخرى تذكر أنّ أخاه محمد حينما سجله بالمعهد الصادقي ذكر تاريخ مولد أخيه الحبيب يوم 03-أوت-1903، ويذكر مكان مولده مدينة منستير، لقد أكد الحبيب بورقيبة أنّ تاريخ ميلاده غير مضبوط بدقة، لأنه في هذه الفترة لم تكن الحالة المدنية في تونس مضبوطة.[3]

ثانيا- ثقافته:

فيما يخصّ تعليم الحبيب بورقيبة، فإنّ والده قام بإرساله 1907 إلى تونس العاصمة، حيث تكفل به أخوه محمد الذي كان يسكن تونس العاصمة ويعمل كمترجم في الإدارة الفرنسية، لأن والده غير قادر على التكفل به لفقره وتقدمه في السن، درس بالمعهد الصادقي، وكانت الصادقية في هذه الفترة بدأت تعطي ثمارها لتحديث المجتمع التونسي في ذلك الوقت والتي ولدت في أحضان مجموعة من المثقفين أمثال" علي باشا حانبه* "

1- عزّ الدين معزة: المرجع السابق، ص 94.

2- الصافي سعيد: بورقيبة سيرة شبه محرمة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2000، ص 35.

3- عزّ الدين معزة: المرجع نفسه، ص 95.

*- علي باشا حانبه: (1876-1918) ولد بتونس العاصمة من أصل تركي، درس بالمعهد الصادقيّ ثم عين متصرفا فيه كان عضوا بالخلدونية ويعتبر المؤسس الأصليّ للمدرسة الصادقية، أسس سنة 1907 جريدة التونسيّ، وجريدة=

كانت البرامج التعليمية تخصص الفترة الصباحية لتعليم اللغة الفرنسية للتلاميذ، وكانت تخصص ساعة واحدة لتدريس اللغة العربية وآدابها، وكان بورقيبة معجبا كثيرا بالشعر الجاهليّ، وقد حفظ المعلقات السبع وهو في المرحلة الابتدائية.[1]

كانت دراسته الابتدائية صعبة جدا، عانى فيها الفقر وسوء التغذية، يقول عن ذلك نقلا عن عزّ الدين معزة:" هكذا قضينا صبانا في سنوات التعليم الابتدائيّ، وكان والدي يأتي إلى تونس في بعض الأحيان، وفي أحدى هذه الزيارات القليلة إلى العاصمة جاء إلى الصادقية ليرى إن كنت جادا في الدرس، كما كان يوصيني دائما، فقابل القائم العام للمدرسة سيردون الذي دعاني من قاعة المذاكرة فوجدت أبي معه وعلى الفور قال له سيردون:" إنّ ابنك كثير الهرج قالها ثلاث مرات، فسأله أبي إن كنت مجتهدا في الدرس، فأجابه: بأنّ مثابرتي على الدراسة لا بأس بها، فقال له أبي: إذن دعه يهرج ما شاء". وكان رأي سير دون أنّ والدي يشجعني على الشيطنة والهاجس الوحيد الذي كان لوالدي هو الاطمئنان على كدي في الدراسة.[2]

وفي ديسمبر 1919 أصيب بورقيبة بأعراض السلّ، نتيجة سوء التغذية وحياة العوز والحرمان التي كان يعيشها، وأدخل الى المستشفى الصادقي مما جعله يعيد السنة، وفي نهاية عام 1921 عاد لمواصلة دراسته، وتحصل بورقيبة على الشهادة الابتدائية في العام الذي توفيت فيه أمه 1913، دخل بورقيبة إلى الثانوية إلى قسم الصفّ الأول ليكون في الصفّ نفسه الذي يوجد به " الطاهر صفر*" الذي تأثر به الحبيب بورقيبة تأثرا كبيرا

=الاتحاد الإسلامي سنة 1911، كان من قادة حركة الشباب التونسيّ أبعد عن تونس واستقرّ في إسطنبول وتوفيّ فيها. أنظر الصادق الزمرلي: أعلام تونسيون، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت،1986، ص ص 141-158.

1- خليصة غفضي: المرجع السابق، ص 06.

2- عز الدين معز:المرجع السابق،ص 106.

*- الطاهر صفر: من مواليد المهدية 1903، وبها تلقى تعليمه الابتدائي، التحق بالمدرسة الصادقية، ثم تابع دراسته بمعهد كارنو، التحق بباريس وواصل دراسته العليا في الآداب وكلية الحقوق، في سنة 1918 انخرط في سلك المحاماة بتونس وساهم في تحرير جريدة العمل لسان الحزب واعتقل مع الزعيم بورقيبة إلى برج البوف في أقصى الجنوب=

ولكن بعد أسبوعين قبل بورقيبة أن يعود إلى القسم لأنه غير قادر على متابعة دروس القسم الأول.[1]

واصل بورقيبة الدراسة في ثانوية "كارنو" واهتمّ بدراسة الرياضيات والأدب والفلسفة ويحضر دروس التاريخ والجغرافيا ويتغيب عن دروس الفرنسية لا بسبب كراهيته لها، ولكنه كان يعتقد بأنه يتقنها جيدا أحسن من زملائه، كما شغف كذلك بالمسرح وعالم التمثيل، بعد حصوله على الجزء الأول من البكالوريا سنة 1923 سافر إلى العاصمة الفرنسية في إطار رحلة طلابية، وتأثر كثيرا بما شاهده في باريس وبعد حصوله على الجزء الثاني من البكالوريا سنة 1924، وفي امتحان البكالوريا اختار الحبيب بورقيبة موضوعا في الفلسفة يتعلق بالأخلاق ونال عليه علامة متفوقة.[2]

لقد أمضى "الحبيب بورقيبة" 12 سنة في المرحلة الثانية من التعليم، وهذا يعني أنه أمضى ضعف السنوات المطلوبة للوصول إلى البكالوريا، ويعود هذا إما بسبب المرض الذي أصيب به وجعله يتعطل عن الدراسة لمدة سنتين أو لأسباب مادية، كان متثاقلا ومتأخرا في دراسته الثانوية ولكن كانت له القدرة على إثارة الإعجاب من حوله.[3]

انتقل بورقيبة إلى باريس لدراسة الحقوق مفضلا إياها على جامعة الجزائر ويذكر الحبيب بورقيبة في محاضراته أنه لما اقترح عليه شقيقه محمد الدراسة بالجزائر أجابه قائلا:" ... اطلعت شقيقي على اعتزامي الالتحاق بالتعليم العالي لا في الجزائر بل في باريس لأنني مصمم على استطلاع ما يجد في باريس وفي أوساطها السياسية من برلمان

=التونسيّ، أفرج عنه 1935ــ وعاد إلى نشاطه الوطني واعتقل من جديد سنة 1938، توفي في 09 أوت 1942. أنظر محمد بوذينة: أحداث العالم في القرن العشرين 1940-1949، ج5، منشورات محمد بوذينة، تونس، ص 90.

1- الصافي سعيد: المصدر السابق، ص 45

2- عز الدين معزة: المرجع السابق، ص 108.

3- الصافي سعيد: المصدر نفسه، ص 46.

وأحزاب وغيرها وعلى التعرف إلى سرّ الأجهزة الإدارية والحكومية لأني مقبل على أمر أكبر شأنا من القناعة بشهادة البكالوريا أو مواصلة الدراسة في تونس فحسب".[1]

لم يشارك بورقيبة في العمل السياسي في فرنسا، على الرغم من وجوده هناك عند تأسيس جمعية شمال إفريقيا إلا أنه لم ينخرط في صفوفها، بل كان يحضر الاجتماعات العامة التي تعقدها الأحزاب الفرنسية خاصة اليسارية منها[2]، وقبل أن يخطو بورقيبة الخطوات الفعلية نحو العمل السياسي كان يلقب بالحيوان السياسي الأول في بلاده لأنه تأخر في الاندفاع نحو السياسة فهو لم يقترب كما فعل بعض رفاقه من أوساط نجم شمال إفريقيا بالرغم أنه انضمّ إليها بعض زملائه، وفي باريس تزوج بورقيبة بأرملة جندي فرنسيّ "ماتيلدا" وهي تكبره بـــ 12 سنة وأنجب منها ابنه الوحيد "الحبيب الابن"، وفي سبتمبر 1926 وهو في عطلة في تونس توفي أبوه وحضر جنازته ثمّ عاد إلى باريس لمواصلة الدراسة.

وفي سنة 1927 تحصل بورقيبة على شهادة الليسانس في الحقوق ثم دخل المدرسة الحرة للعلوم السياسية، وبذلك يكون بورقيبة قد جمع بين علم النفس والحقوق والفلسفة والعلوم السياسية ثم علوم الصحافة، وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق عاد إلى تونس ليمارس مهنة المحاماة وظلّ يشغل في هذه المهنة وفي نفس الوقت يمارس السياسة والنشاط الصحفيّ.[3]

ثالثا- مساره النضالي والقيادي:

شرع بورقيبة في التخطيط للانقلاب على الأمين باي البالغ من العمر نحو 76 سنة والذي أمض 15 سنة على كرسي عرش، فقد أصبح يمتلك المجد، ولكنه لم يعد

1- عز الدين معزة: المرجع السابق، ص 109.

2- خليصة غفصي: المرجع السابق، ص 06.

3- شايب قدادرة: الحزب الدستوري التونسيّ الجيد والحزب الشعب الجزائري (1934-1954)، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 139.

يمتلك القوة، لكن منذ الاستقلال فقد ذلك الجزء من القوة والشرعية، أما بورقيبة فقد واصل تألقه حيث أصبح وزيرا ورئيس المجلس التأسيسي، فقد عمل على نزع سلطان المجد عن ذلك الباي، وكلّ من زار تونس من الوفود الرسمية أحسوا لأن الباي قد أصبح شبه معزول، فقد لاحظ " الملك بن مسعود" ذلك خلال زيارته الرسمية لتونس إذ صدمته معاملة بورقيبة للباي، إذ تكلم بصوت عال أمامه وهو يشير بيده في جميع اتجاهات وهنا أدرك أن بورقيبة هو رجل تونس القويّ.[1]

اقترب بورقيبة جيدا من عائلة الباي، فاطلع على كثير من الأسرار وتساءل بينه وبين نفسه كيف يرضى أن يكون وزيرا أكبر لدى هذه العائلة التي تستحوذ على الأرزاق، وتعامل وزير البلاد الأكبر بمثابة الخادم؟. كان بورقيبة في البداية لا يعرف من أين يبدأ في قضم تلك العائلة وقد فكر في الانقلاب لكنه تراجع عن تلك الفكرة التي قد تظهره كرجل انقلابي، فاهتدى إلى أسلوب قديم: التدرج بالخطوات الصغيرة، وحين عاد من الجولة الخارجية التي قادته إلى غانا وغينيا والمغرب ثمّ إسبانيا وإيطاليا بصفته رئيسا للوزراء، كان بورقيبة قد استعدّ جيدا لإعلان حملته ضد العائلة المالكة، حيث تكلمت بعض الصحف عن أملاك العائلة التي لا تحصى، وعن تجاوزات بعض أفراد العائلة للسلطات، وفي 25 جويلية 1957 ختم بورقيبة خطابه معلنا عن ميلاد الجمهورية، وقد عرف الباي من خلال الراديو أنه أصبح رجلا عاديا، وقد كلف كلّ من "إدريس قيقة" و" علي بهلوان*" بإبلاغ الباي قرار العزل، وهذا الأخير طلب من الباي قراءة العزل بصوته على مبعوثي الإذاعة، لكن الباي رفض وبعد قراءة القرار طلب من الباي أن يستعد

1- شايب قدادرة: المرجع السابق، ص 193.

*- علي بهلوان: من مواليد 1909 بتونس تلقى تعليمه في الكتاب حيث حفظ القرآن، التحق بمدرسة خير الدين الابتدائية، خرج منها محرزا شهادة الابتدائية، ثم التحق بالمدرسة الصادقية، وخرج منها محرزا في عام 1931، ثم التحق بجامعة السوربون، انخرط في جمعية نجم شمال إفريقيا وبعد تخرجه رجع إلى بلده، توفي في: 09-03-1958، ومن مؤلفاته: تونس الثائرة، الاقتصاد التونسي...، أنظر محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1982، ص 118-121.

للخروج وهو يقول له:" لقد تمّ إعداد إقامة خاصة لك وبمستوى مقامك مؤمنة بالحماية وبجميع الاحتياجات".[1]

وفي 01 جوان 1959 تم وضع دستور جديد في تونس كرس بشكل مطلق النظام الرئاسي، حيث أصبح الرئيس بورقيبة يتمتع بصلاحيات واسعة، ونصّ الدستور الجديد على انتخاب الرئيس كلّ خمس سنوات مع إمكانية انتخابه ثلاث مرات متتالية، ونصّ الدستور أيضا على أنّ الرئيس التونسيّ له صلاحيات في رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية واختيار أعضاء الحكومة، وتولي القيادة العليا للجيش، وفي 08 نوفمبر 1959 أعيد انتخاب بورقيبة رئيسا للدولة بدون منافسة.[2]

أما على الصعيد الداخلي، فإن بورقيبة لم يكرس مبدأ التداول على السلطة ولم يفسح المجال أمام الأحزاب السياسية بالعمل السياسي، وفي سبتمبر 1974 انتخب المؤتمر التاسع للحزب الدستوري الحبيب بورقيبة رئيسا للحزب مدى الحياة، وهذا بعد أن أقصى كلّ خصومه ومعارضيه، حيث عاشت المعارضة التونسية أسوء أيامها في هذه المرحلة، ففي 1974 صدرت أحكام بالسجن ضد 175 شخص أغلبهم طلاب بعثيون وماركسيون وإسلاميون بسبب انتمائهم إلى فصائل سياسية غير معترف بها، بحكم أن تونس يحكمها حزب واحد وهو الحزب الدستوري الاشتراكيّ، وفي عام 1975 وقع إضراب عام في جامعة التونسية ووقعت أثناءها اشتباكات عنيفة بين قوات الأمن والطلاب التونسيين، وأبرز حدث داخلي شهدته تونس في عهد بورقيبة هو الانفجار السياسي الذي شاركت فيه النقابات العمالية حول قضايا سياسية واجتماعية متعددة.[3]

إنّ هذه الأحداث التي مرت تدل على فشل المشاريع السياسية التي أتى بها بورقيبة وفرضها على المجتمع التونسيّ فرضا بكلّ الوسائل والطرق، حتى يجعل من نفسه

1-الصافي سعيد :المصدر السابق، ص219

2- يحيا أبو زكريا: الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي إلى الغنوشي، 2003، ص 23.

3-نفسه ، ص ص 25،26.

المخلص الوحيد لتونس من الاستعمار الفرنسيّ، لم تتوقف تلك الهزات عند الميدان السياسي بل شملت كلّ المجالات على غرار المجال الاقتصاديّ والثقافي الذي أصابه الفشل كذلك.

أما على المستوى الثقافي، بدأ بورقيبة منذ أيام حكمه الأولى يظهر افتتانه بالحضارة والثقافة الغربية، وانبهاره بمبادئ الثورة الفرنسية، و"شارل ديغول" ومصطفى كمال أتاتورك، فكرس جهده لتكريس المشروع العلماني في تونس، فأصدر بعد ثلاثة أشهر فقط من الاستقلال " مجلة الأحوال الشخصية" حيث بدأ يصدر التشريعات التي تعيد تشكيل المجتمع التونسيّ، وفق الرؤية الفرنسية، حيث لجأ إلى تجميد دور جامع الزيتونة الذي لعب دورا كبيرا في تحرير تونس، وبطش أبناء الحركة الوطنية الإسلامية، وشوه صورهم وشردهم وسنّ القوانين تمنع ارتداء الحجاب واعتبره زيا طائفيا يشجع على الانقسام داخل المجتمع.[1]

كما دعى بورقيبة سنة 1956 إلى منع الصوم على الشعب التونسيّ في شهر رمضان بدعوى أن الصوم يقلل الانتاج ويعيق تقدم تونس ونهضتها، حتى الصلاة لم تسلم هي الأخرى من مخططات قادة تونس لتدمير الهوية الإسلامية، فقد ضيق على المصلين وعلى الخطباء الذين ألزمهم بتوحيد الخطب، وكانت أغلب تلك الخطب تتحدث عن أهمية الحفاظ على قواعد السير والمرور، وكيفية انتعاش السياحة الداخلية والخارجية، والمساجد بتونس كانت تخضع لنظام صارم يقضي بفتحها أمام المصلين في أوقات الصلاة فقط، ويتم بعدها إغلاقها فورا ولا يسمح لأي مصلّ البقاء داخل المسجد.[2]

أما على المستوى الاقتصادي لقد كانت مهمة الانتقال من اقتصاد استعماري إلى اقتصاد مستقل صعبة نسبيا، لأنّ الحكومة سعت إلى تحقيق هذا الهدف دون إحداث قطيعة

1- راغب السرجاني: قصة تونس من البداية إلى الثورة 2011، ط1، دار الأقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ص 39.

2- نفسه، ص 41.

نهائية وجذرية مع فرنسا، كان مسعى الحكومة التونسية في تركيز أسس اقتصاد وطني إيجابي، وأهمّ إجراء قامت به هو تأميم كافة أراضي المعمرين الفرنسيين بتونس، كان ذلك يوم 12-05-1964 ومن النجاحات كذلك تحقيق استقلال نقدي بإحداث البنك المركزيّ التونسيّ 18 سبتمبر 1958 وبعث وحدة نقدية تونسية وهي الدينار، وفي 18 أكتوبر 1958 تمّ الانخراط في صندوق النقد الدولي والبنك العالمي[1]، فرغم ميولات الحبيب بورقيبة الغربية فإنه تبنى في مطلع الستينيات النهج الاشتراكي كنظام سياسي واقتصادي، لم يكن هذا الاختيار الذي انتهجه بورقيبة ناتجا عن قناعته السياسية بقدر ما كان ضرورة حتمها واقع اقتصاد البلاد الضعيف في تلك الفترة، فاحتاج هذا الوضع الاقتصادي إلى إصلاح عاجل.

كان "أحمد بن صالح*" الذي كان مسؤولا عن النقابات استطاع أن يقنع الحبيب بورقيبة بانتهاج النظام الاشتراكي للنهوض بالاقتصاد التونسيّ، فقبل بورقيبة هذا النظام وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

- التحرر الاقتصادي.
- ترقية الإنسان التونسي.
- تطوير البنى التحتية التي تسمح بتحقيق التنمية الجهوية.
- التنمية الذاتية وعدم الاعتماد على المساعدات الخارجية.

وقد وصف "أحمد بن صالح" اشتراكية تونس بأن هدفها الأساسي هو تحقيق رغبات الشعب التونسي، وشرع بعدها هذا الأخير في تنفيذ تجربته القائمة على تعايش ثلاث

1- إبراهيم الفاعوري: تاريخ الوطن العربي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص 84.

*- أحمد بن صالح: ولد 13-01-1926، في بلدة المكنين وهو سياسي ونقابي تونسي، شغل عدة حقائب وزارية، دخل الكتاب ثم المدرسة الفرنسية، التحق بعد ذلك بالمدرسة الصادقية، ثم تحول إلى باريس لدراسة الآداب العربية بالسوربون، ساهم سنة 1945 في إصدار نشرية سرية تحمل عنوان "الهلال"، انتخب في 1956 كعضو في المجلس القومي التأسيسي، عزله بورقيبة عن الوزارات الاقتصادية، وتمت إحالته على المحكمة العليا بتهمة الخيانة، وأصدر عليه حكما ب 10 سنوات تمكن من الهروب من السجن، ورجع إلى تونس بصفة نهاية في سبتمبر 2000.

قطاعات، واحد حكومي، وآخر خاص، وثالث مشترك بين تخطيط الدولة وبين الخواص، أو ما يسمى بالسياسة التعاضد[1]، لكن هذه السياسة الاقتصادية التي انتهجتها تونس ولم تحقق ما كان منتظرا منها وأدت إلى انخفاض الانتاج مما اضطر الحبيب بورقيبة إلى وضع حد نهائي لها، ففي 22 سبتمبر 1969 أقر مرسوم جمهوري للتخلي عن التجربة التعاضدية، وقام بعزل أحمد بن صالح وتمّ إحالته على المحكمة العليا بتهمة سوء التصرّف الاقتصاديّ.[2]

لينتهي الوضع في تونس ليس بتدهور اقتصادي فقط، بل تبعه تأخر على الصعيد الثقافي والاجتماعيّ، حتى باتت السلطة هل انتقاد من كلّ التيارات السياسية التونسية، وفي تلك الفترة التي كان نجم بورقيبة يبدأ بتراجع بسبب المرض، ظهر شخص آخر وهو" زين العابدين بن عليّ" الذي لم يكن معروفا إلا على مستوى الأجهزة الأمنية التونسية، حيث تمكن من التدرج وبشكل سريع في المنظومة الأمنية التونسية حتى أصبح أحد المقربين إلى الحبيب بورقيبة، ومن المناصب التي تقلدها هو وزير الداخلية، وتولى أيضا مناصب أخرى مما تسمح له بالاطلاع بدقة على تفاصيل الحكم في تونس، وكان أحيانا يتخذ القرارات وخصوصا عندما اشتد مرض بورقيبة.[3]

وفي 07 نوفمبر 1987 قام بتنحية الرئيس، وذلك بعد أن استند إلى تقرير طبي لأشهر الأطباء في تونس، لإثبات عدم قدرة بورقيبة على تسيير البلاد، وأصبح 07 نوفمبر يوم وطني يحتفل به احتفالا رسميا. أما الرئيس بورقيبة فقد ظلّ في إقامته الجبرية في قصر "مرناق " بضواحي تونس العاصمة.[4]

1- عز الدين معزة: المرجع السابق، ص 419.

2- الطاهر بلخوجة:الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على العصر،دار الثقافية للنشر،القاهرة،1999،ص12

3- يحي أبو زكرياء: المرجع السابق، ص 51.

4- راغب السرجاني: المرجع السابق، ص 149.

رابعا- الآثار الفكرية للحبيب بورقيبة:

ترك الحبيب بورقيبة آثارا متنوعة شملت فترة نضاله خلال الحركة الوطنية وطوال فترة حكمه التي استمرت ثلاثين عاما، فقد كان معجبا بشخصه ومكانته في تاريخ تونس، لذلك عمل بكلّ ما يملك من طاقة ذاتية وإمكانية الدولة التونسية على تمجيد نفسه.

ومن أهمّ الآثار المتنوعة التي تركها الحبيب بورقيبة " الآثار المكتوبة" سعى الحبيب بورقيبة إلى تسجيل سيرته الذاتيّة والنضالية والهدف من ذلك حسب قوله:" لكي نتعرف على هذا الشخص الذي أخرج فرنسا من تونس وقام بهذه المعجزة التي كانت تعتبر حلما من الأحلام أرى من الواجب أن نطلع على الأسباب والمسببات وعلى التأثيرات التي طبعته، ومنها اللاشعوريّ، وربما كان لما يطرق سمعه زمن الصغر والظروف التي عاش فيها، وزاول دراسته في كنفها حتى اشتدّ ساعده واكتمل إدراكه، ضلع في تكوين الروح الوطنية التي ظلت ملازمة له طوال حياته". ولهذا الأسباب كان حريصا على تسجيل سيرة ذاتية، فقد جمع كلّ ما قام بكتابته من مقالات في الصحف والمجالات ومن رسائل سياسية أو شخصية أو عائلية في كتابه:

- الحبيب بورقيبة: بين تونس وفرنسا كفاح مرير ربع قرن في سبيل التعاون، في هذا الكتاب سجل الحبيب بورقيبة كلّ نشاطه السياسي خلال مرحلة الحركة الوطنية.
- كتاب آخر بعنوان: " حياتي أعمالي" حيث قسمه إلى خمسة أجزاء وهي:[1]
- الجزء الأول: من الفترة 1929-1933 تكلم فيه عن مولده وعائلته ودراسته ومقالاته الأولى في الصحف، وتكلم عن نضاله السياسي خلاله هذه الفترة.

1- عز الدين معزة: المرجع السابق، ص 127.

- الجزء الثاني: من الفترة 1934-1938، تحدث فيه على نضاله خلال هذه المرحلة موضحا بالتفصيل ما حدث في قصر هلال والأسباب التي أدت إلى انشقاق الحزب الدستوري وظهور الحزب الحرّ الدستوري الجديد.
- الجزء الثالث: من الفترة 1938-1943، تعرض هذا الجزء للأحداث التي مرت بها تونس مركزا على الأحداث 09 أفريل 1938 ومطالب الوطنيين التونسيين وتأييده للمطالب الوطنية مما عرضه ذلك للسجن والنفي، وتكلم فيه على سير أحداث الحرب العالمية الثانية وموقفه من الكتلتين المتصارعتين وتفضيله للحلفاء على المحور.
- الجزء الرابع: من الفترة 1944-1951، تحدث فيه على فشل سياسة الحماية في تونس محللا أسباب الفشل وتاثيره الخطير على المجتمع التونسي.
- الجزء الخامس :من الفترة 1952-1956تكلم فيه على الثورة المسلحة في تونس ودوره فيها و المفاوضات مع فرنسا وأسباب خلافه مع صالح بن يوسف حصول تونس على استقلالها الداخلي.

ومن مؤلفاته أيضا كتابه " حياتي أرائي جهادي" جمع كلّ خطب ألقاها أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار حول تاريخ الحركة الوطنية التونسية والتي بدأها بسيرته الذاتية ونضاله إلى إعلان قيام الجمهورية التونسية سنة 1957.

وفي كتاب آخر للحبيب بورقيبة" من اجل السلام في الجزائر" وهو كتاب نشره مكتب التوثيق سنة 1959 لدعم القضية الجزائرية وثورتها، وانتقد فيه الحبيب بورقيبة سياسة الجنرال ديغول في الجزائر بسبب رفضه التفاوض مع جبهة التحرير الوطني ولجوئه إلى القوة العسكرية للقضاء على الثورة الجزائرية.

هذه الأهمّ الكتب التي تركها "الحبيب بورقيبة" مستعرضا فيها سيرته الذاتية ونضاله وخطبه سواء أثناء الحركة الوطنية أو مرحلة بناء الحركة الوطنية.[1]

1- عز الدين معزة: المرجع السابق، ص ص 128،129.

الفصل الثاني

نضال بورقيبة ضمن الحزب الحرّ الدستوري التونسي

أولا- نشأة الحركة الوطنيّة التونسية

ثانيا- تأسيس الحزب الحرّ الدستوري التونسي 1920

ثالثا- نشاط الحزب الحرّ الدستوري التونسي

رابعا-نشاط بورقيبة في الحزب الحر الدستوري التونسي

أولا- نشأة الحركة الوطنيّة التونسية:

بعد دخول فرنسا لتونس سنة 1881، وتوقيع محمد الصادق معاهدة باردو، التي كرست بمعاهدة المرسى، عرفت خلالها تونس مقاومة وطنيّة ضد الاحتلال الفرنسيّ، التي أخذت في أول الأمر شكلا مسلحا إذ نسيت القبائل خلافاتها القديمة وأجمعت كلمتها على مواجهة العدوّ بحدّ السلاح، واندلعت الثورة في مدينة صفاقس ثم امتدت إلى قابس والوسط والجنوب والغرب وطلبت السلطة الفرنسية الإمدادات من فرنسا والجزائر، وتمكنت القوات الفرنسية من احتلال صفاقس وقابس بعد مقاومة مستميتة، ثم احتلت تونس وسوسة والقيروان بلا قتال، لكن المقاومة المسلحة قد تواصلت في أقصى الجنوب طوال سنة 1882 بقيادة علي بن خليفة، وحاولت السلطات الفرنسية إخضاعه بالإقناع، لكنه رفض التصالح، واستمرّ رجاله في شنّ الغارات على العدوّ إلى أن استشهد القائد بن عليّ في 14 نوفمبر 1884 ومع ذلك تواصلت المقاومة المسلحة إلى حدود 1887، ولم يستتب الأمن إلا سنة 1890 بعدما تبخرت الآمال التي كان يعلقها المجاهدون على مساعدة الخلافة العثمانية.[1]

ظهرت الحركة الإصلاحية المسماة بحركة الشباب التونسي في بداية القرن العشرين أو بعد أن قضى الجيش الفرنسي على المقاومة المسلحة، وتمثلت في الفترة الأولى من مناهضتها للوجود الفرنسيّ في عمل نخبويّ سرعان ما تحول من حركة مطالبة ذات صبغة ثقافية اجتماعية إلى عمل ذي بعد سياسي، واعتبرت سنة 1907 تاريخ انبعاث حركة الشباب التونسيّ وقد ساعد على تأسيسها عمل توعوي بعد سنوات قليلة من إنتصاب الحماية بقيادة جريدة الحاضرة التي تاسست 1888، والتي كانت نواتها رجال

1- حدة غضبان: عبد العزيز الثعالبي ودوره في الحركة الوطنية التونسية، رسالة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف ،المسيلة، 2012، ص 35.

الإصلاح الذين تكتلوا سوية، وقد برز من جماعة الحاضرة المحامي" علي بوشوشة*" حيث عملت جماعة الحاضرة على تعريف القراء التونسيين بتاريخهم القوميّ، ومن أبرز الشخصيات كذلك " بشير صفر" وهو من خريجي المدرسة الصادقية، وبمبادرة هذا الأخير تأسست الجمعية الخلدونية سنة 1896 التي بادرت منذ انبعاثها إلى إبراز الحضارة العربية، كما أنشأت مكتبة عامة زاخرة بالكتب والمجالات العربية والفرنسية.[1]

وفي 23 ديسمبر 1905 أسست مجموعة أخرى من قدماء الصادقين في مقدمتهم علي باشا حامبة جمعية ثقافية ثانية أطلقوا عليها اسم جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية تحت رئاسة خير الدين مصطفى[2]، ومن خلال هذا النضال من زعماء الجمعية الخلدونية والصادقية، بدأ الوعي لدى الشباب التونسيّ يتجه إلى العمل السياسي التنظيمي. حيث تأسست سنة 1907 أول حركة سياسية منظمة لمقاومة الاستعمار فساهمت بشكل فعال في دفع طريق النضال قدما، فبدأت في محاولة تنظيم الجماهير في إطار الحزب وخرجت بذلك من الإطار الذي أراد الفرنسيون أن تكون عليه، وهو مجموعة من المثقفين تكون أداة في يدهم لكن التجربة التي كانت لهؤلاء مع الفرنسيين جعلت منهم وطنيين مرتبطين بشعبهم فتعد هذه أول ضربة توجه للاستعمار الفرنسيّ من طرف التونسيين المثقفين.[3]

---

*- علي بوشوشة: من مواليد 1859 ينحدر من اصل جزائري عائلة من بنزرت، كان حريصا على تعلم اللغات خاصة العربية والفرنسية والتركية حيث أظهر تفوقه الكبير، فأسس 1881 جريدة الحاضرة، وكان من مسيري الجمعية الخلدونية، توفي بوشوشة يوم 18-أوت-1917 إثر مرض عضال، أنظر الصادق الزمرلي: المرجع السابق ،ص133-139.

1- محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2006، ص 127.

2-Ali Mahjoubi : Les Origines Du MouvmentEntynisie, 1904-1934, Puplication De L'universite De Tunise,1982, P119.

3- الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1881-1956، ط1، منشورات المعارف للطباعة والنشر، تونس،1975، ص 39-40.

وكان لحركة الشباب التونسيّ برنامجها ووسائل عملها ومن بينها جريدة "التونسي" الناطقة باللغة الفرنسية، وقد احتوى هذا البرنامج كلّ طلبات حركة الشباب التونسيّ، وتتلخص تلك الطلبات في جعل التعليم إجباريا ومجانيا، وإرساء نظام قضائي عصري وعادل وحياة سياسية تضمن لكافة التونسيون ممارسة حقوقهم بواسطة التمثيل الشعبي المنتخب وهياكل دستورية ورغم الفشل في التوصل إلى تحسين حالة التونسيين لم يتوقف الشبان عن نشاطهم، بل دخلوا في مرحلة جديدة شهدت تصعيدا للحركة المطلبية، وحاولو قصارى جهدهم توعية التونسيين وخاصة شباب العاصمة بشتى وسائل الدعاية عن طريق الصحافة وعن طريق الاجتماعات والمنتديات.[1]

كما خاضت الحركة الوطنية معركة أخرى سنة 1910 بسبب محاولة اليهود اكتساب حقّ النظر في قضاياهم في المحاكم الفرنسية، وهذا كخطوة تمهيدية للانفصال عن جنسيتهم التونسية، واكتساب الجنسية الفرنسية، فما كان من الحركة الوطنية في تونس إلا أن وقفت تحارب هذه الخطوة التي تقضي بتجنيس اليهود بشكل جماعيّ وأدت بالنهاية إلى حركة ضد اليهود ودعوا الشعب إلى مقاطعتهم اقتصاديا وأدبيا، مما جعل السلطات الفرنسية تتراجع في تطبيق هذا القانون وكسب الحركة الوطنية المعركة، حيث استطاع التونسيين انعاش اقتصادهم بعد مقاطعتهم لليهود اقتصاديا، مما أدّى إلى انبعاث روح الحرص على احتلال مراكز الصدارة في الحركة الاقتصادية للبلاد[2]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على إن قادة الحركة الوطنية أصبح لديهم الوعي والحسّ الوطني لمجابهة الاستعمار بكلّ قوة وحزم.

1- يوسف مناصرية: الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934، رسالة ماجيستير: معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986، ص 28.

2- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 42.

ثانيا- تأسيس الحزب الحرّ الدستوري التونسي 1920:

لقد أدت التحولات الناجمة عن الحرب العالمية الأولى إلى انتعاش الروح الوطنية، وخاصة بعد انتصار الحلفاء ساهمت في إرساء دعائم الحركة الوطنية من أبرزها اعتراف الرئيس الأمريكي " ولسن" في جانفي 1918 بحق الشعوب الخاضعة للهيمنة الأجنبية في تقرير مصيرها بالرغم من أنّ هذا المبدأ لا يشمل إلا الشعوب الأوروبية التي تعرضت للهيمنة الألمانية والنمساوية، إلا أن الزعماء الوطنيين لم يترددوا في توظيف هذا المبدأ لصالح القضية التونسية.[1]

كان " عبد العزيز الثعالبي*" قد وجه خطابا في تونس يحثهم فيها على إنشاء حزب سياسي للمطالبة بالدستور، حيث يقول أحمد توفيق المدني أنه في شهر فيفري من سنة 1920 جاءت رسالة من الشيخ "الثعالبي" قرأتها بنفسي يقول فيها إنّ حركة ولسن قد أخفقت وأنّ الآمال المبنية عليها قد انهارت، وقد عملت الشعوب العربية كلها أنها لا تنال حقها إلا بجهودها وجهادها، ولهذا لزم الاستعداد لكفاح طويل مرير، وربما ولجت رحابه الأجيال، وأنه لم يعد بعد الآن في الإمكان المطالبة بإلغاء نظام الحماية، فذلك القول لا يسمع له اليوم أحد إنما يجب أن نطلب بإعلان الدستور التونسيّ، وأخذ زمام الحكم بأيدينا وإدارة بلادنا بأنفسنا وتكتفي فرنسا بالإشراف والحماية الخارجية، وأضاف وجوب أن يتطور الحزب وينتظم وضرورة أن يدعى الحزب الدستوريّ، ويجب أن يشمل كل

1- خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص 84.

*- عبد العزير الثعالبي: (1879-1944) هو عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي، الزعيم السياسي والخطيب والكاتب، تعود أصوله من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال، ولد بتونس حفظ القرآن الكريم على يد مدرس خاص، التحق بجامع الزيتونة، كما تابع دروسه بالمدرسة الخلدونية، وفي سنة1907 عمل في حزب تونس الفتاة وكتب في جريدة المبشر، أصدر جريدة سبيل الرشاد ثم عطلتها السلطة الفرنسية، تعرض للنفي وأودع السجن، ثم أفرج عنه وأسس مع رفاقه الحزب الدستوري الحرّ سنة 1920 وأسند إليه رئاسته، توفي 1944. أنظر محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1982، صص213 -221.

الطبقات التونسية[1]، وكانت هذه الرسالة قد دعمت مشاركة "عبد العزيز الثعالبي" في تأسيس تشكيلة سياسية جديدة ظلت تشغل بال الشباب التونسيّ، وفعلا فقد نظم هؤلاء في فيفري 1920 بتونس في منازل خاصة اجتماعات قصد إعداد برنامج مشترك وتأسيس حزب سياسي ثم أرسل هذا البرنامج في رسالة بتاريخ: 07-03-1920 إلى الثعالبي الذي أعاده في 18 مارس بعد تنقيحه، وهكذا أسس الحزب الذي عرف باسم الحزب الدستوري.

لقد تأسس هذا الحزب رسميا تحت اسم الحزب الحرّ الدستوريّ التونسي يوم انعقاد مؤتمره الأول بمدينة تونس في 14 مارس 1920 بدار الشيخ المختار " كاهية"، ولم يعلن عنه جهارا إلا يوم انعقاد مؤتمره الثاني في 03 جوان 1920 بالمرسى حيث تقرر الإعلان عنه وأخذ تونس مقرا له[2]، وانتخب عبد العزيز الثعالبي بالإجماع رئيسا للحزب وبدأ هذا الحزب في تكوين الشعب والفروع في أنحاء البلاد التونسية، وبثّ الدعوة في صفوف المواطنين ليكونوا أداة الكفاح ضد الاستعمار[3]، وقد قدم الحزب في سنة 1920 المطالب التالية:

- تشكيل جمعية تشريعية مختلطة فرنسية تونسية لها صلاحيات واسعة لا سيما في القضايا المالية.
- تأليف وزارة مسؤولة أمام المجلس.
- الفصل بين السلطات التشريعية، التنفيذية، القضائية فصلا تاما.
- منح التونسيين حق الشغل الوظائف حسب كفاءتهم ومساواتهم بالفرنسيين.
- المساواة بين الموظفين التونسيين والفرنسيين بالرواتب.

1- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مذكرات، تونس، 1905-1925، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976، ص 173.

2- شايب قدادرة: المرجع السابق، ص 117.

3- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 55.

- تشكيل مجالس محلية منتخبة.
- جعل التعليم إجباري.
- منح التونسيين حق شراء أرض الدولة.
- منح التونسيين حرية عقد الاجتماعات، وتشكيل الأحزاب وضمان حرية الصحافة.

ويلاحظ أنّ هذه المطالب لا تتعرض لذكر الاستقلال بل تقرر للفرنسين حق الاشتراك في حكم تونس.[1]

تعود بوادر نشأة الحزب إلى الاجتماعات العديدة التي جرت بالعاصمة سنة 1919 والتي أكدت على ضرورة سن دستور يضمن حقوق الأهالي، وضمّ الحزب التونسيّ كلا من الشيخ " عبد العزيز الثعالبي" و"أحمد الصافي" و"حسن القلاتي*" وثلة من المحامين والأطباء والصحافيين ورغم أن الحزب في بدايته كان نخبويا فقد تمكن زعماؤه من تجديد أشكال نضالهم وذلك من خلال إرسال مذكرة(مارس 1919) إلى كلّ من الرئيس الأمريكيّ ولسن[2]، وإلى وفود مؤتمر الصلح بباريس يطالبون فيها بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها على البلاد التونسية.[3]

إلا أنّ فشل الحزب في مسعاه، قد تطلب تغيير خطة عملهم وتوجهوا إلى كسب مساندة الأحزاب اليسارية الفرنسية من جديد والمراهنة على تفهمها لمطالبهم، وقد رفعوا

1- اسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000، ص 364.

*- حسن القلاتي: (1880-1966) جزائري الأصل، وليد أبو غار بقصر البخاري، هاجر إلى تونس بعد دخول الفرنسيين إليها، درس في معهد كارنو وحصل على الباكالوريا سنة 1898، والتحق بكلية الحقوق بمدينة تولوز حيث تخرج سنة 1902، وهو من رموز الحركة الوطنية في عهدها الأول، وكان من جملة من ألقي عليهم القبض بعد حوادث الزلاج ومقاطعة ترامواي سنة 1912 مع عبد العزيز الثعالبي، وبعد فشله في انتخابات المجلس الكبير سنة 1928 اعتزل الحياة السياسية، أنظر صالح الخرفي: عبد العزيز الثعالبي من آثاره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ص ص172،173.

2- خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص 87.

3- شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب الأقصى، المكتب المصريّ توزيع المطبوعات، القاهرة، 2007، ص 412.

نداء إلى الاشتراكيين الفرنسيين طالبوا فيه بحرية الشعب التونسي في نطاق عصبة الأمم ولتحقيق ذلك، كلّف الحزب التونسيّ" أحمد السقا" والشيخ " عبد العزيز الثعالبي" بتمثيله بباريس حيث تمّ إبعاد أحمد السقا إلى باريس أفريل 1919، ويعتبر أول مبعوث للحزب التونسي إلى فرنسا ــ وقد تمكن من الاتصال بالصحف وببعض الأوساط اليسارية لا يسما الحزب الاشتراكيّ الذي اعتزم عرض القضية التونسية على مجلس النواب، فأصبح " الثعالبي" شخصية مرقومة في باريس، وهذا يعود إلى الوسط الذي تحرّك فيه وهو وسط الحزب الاشتراكيّ، إلا أن هذا الأخير فشل في الانتخابات 1919، فثارت قيادة الحزب التونسيّ ضده على اعتبار أنه أساء بهذه الصلة لتونس وفي تلك الفترة أصدر الثعالبي كتاب" تونس الشهيدة".[1]

سافر عبد العزيز الثعالبي إلى باريس في 15 مارس 1920 لمطالبة فرنسا بإقامة حياة دستورية في تونس، وقد اعتقل الثعالبي لبضعة أشهر في باريس بناء على رسالة من المقيم العام الفرنسيّ في تونس " لويس فلان دان" لكن السلطات الفرنسية أفرجت عنه وسمحت له بالعودة إلى تونس حتى تقضي على الاضطرابات التي بدأت تنتشر إثر انتشار خبر اعتقاله في فرنسا وقد حاول الحزب الدستوري الالتقاء باي تونس أملا في أن يساعد الحزب في تحقيق أهدافه، وقد أبدى الباي تعاطفا مع الحزب وشجع على إرسال وفد إلى فرنسا برئاسة أحمد الصافي ليقدم المسؤولين الفرنسين مطالب الشعب التونسيّ، لكن الوفد عاد لتونس دون أن يحقق شيئا وإزاء تعدد المظاهرات المطالبة بالدستور اضطرت الحكومة الفرنسية لتغيير المقيم العام الفرنسيّ وعين مكانه " لوسيان سان" والذي حكم البلاد من 1920-1929 حيث حاول هذا الأخير تهدئة الأحوال في تونس فقام ببعض الإصلاحات[2].

1- عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، ط1، دار القدس، بيروت، لبنان، 1975، ص 99.

2- شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص413.

حيث شرع في رفع الأحكام العرفية، وأدخل بعض الإصلاحات على مجلس الشورى الذي أصبح يدعى بالمجلس الكبير، وأوجد كذلك وزارة العدل وأطلق الحريات العامة وفق مخطط استعماري، وهذا لدمج تونس في فرنسا وهي خطة ذكية لم تنخدع لها الحركة الوطنية إلا قلة قليلة قبلت التعاون مع هذا المقيم مما سبب انشقاقا في الحزب الدستوري التونسيّ.[1]

ونتج عن ذلك قسمين واضحي المعالم، قسم إصلاحي تدريجي وكان على رأسه المحامي "حسن جلاتي" وقسم الرفض الذي يقوده الثعالبي ويمثل أكثرية الأمة، وبينهما فئة يمثلها " العسافي" تكتفي بالمطالبة بدستور ومجلس نيابي وحكومة مسؤولة أمامه، وانتهى الأمر " بالجلاتي" إلى أن نشر مقالا في جريدة "تونس الاشتراكية" يهاجم فيها كتاب " تونس الشهيدة" ويقول أنه أزعج الرأي العام الفرنسيّ.[2]

وبسبب ذلك قادت السلطات الاستعمارية حملة من الإرهاب والقمع ضد الحركة الوطنية وقيادتها فشهد الحزب ركود نشاطه وهجرة عبد العزيز الثعالبي إلى المشرق (جويلية 1920) قاصدا مصر والعراق، وبعد خروجه من تونس تابع "أحمد الصافي" و"صالح فرحات" سياسته، واستمرت المظاهرات ومما آثار الأهالي هو صدور قانون التجنيس في 20 ديسمبر 1920 والذي يقضي بإعطاء الجنسية الفرنسية إلى التونسيين إذا توفرت فيهم الشروط.[3]

وقد وظف الزعماء الدستوريون صدور هذا القانون لشنّ حملة صحفية ضد السلطات الاستعمارية، وتجلت هذه الحملة من خلال ما كتب في الصحافة حول هذا

1- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 56.

2- عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق، ص 19.

3- شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسيير قوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الجزائر، 1976، ص 86.

القانون والتي تعرضت بدورها إلى التعطيل كجريدة "العصر الجديد" و"المبشر" و"مرشد الأمة".[1]

عاد الحزب الدستوريّ التونسيّ سنة 1924 يكرر مطالبه من جديد، وقد أثر الركود الذي أصاب الحزب الدستوريّ بعد نفي الثعالبي ثائرة بعض من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا فقاموا بتأسيس جريدة " الصوت التونسي" سنة 1928 وكان يديرها الشاذلي خير الله وكانت تصدر بالفرنسية لأن الصحف العربية كانت ممنوعة، والتفّ حول هذه الصحيفة شباب الحزب الدستوري التونسيّ وشباب من خرجي المدرسة الفرنسية، واستطاعت تنشيط الحزب وإعادة تنظيمه وترتيب صفوفه ولم تمض مدة طويلة على هذه الجريدة حتى انشقّ عنها مجموعتين من الشباب وأسسوا جريدة العمل التونسيّ[2]، ومن بينهم نجد الحبيب بورقيبة والبحري قيقة، ومحمد الماطري الذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية، وطرق عمل أحزاب اليسار الفرنسيّ، ومن الوقائع البارزة التي يساهم فيها انعقاد المؤتمر " الافخارستي* "في 30 ماي 1930 حيث عزز حزب الدستور قواعده من خلال تكثيف الاجتماعات وإصدار اللوائح وشن الحملات الصحفية ضد المؤتمر الأفخارستي، وكان من نتائج ذلك تزايد عدد المنخرطين بالحزب خاصة الأوساط الطلابية.[3]

وبالرغم أنّ السلطات الاستعمارية قد حلت بالحزب الدستوريّ واتخذت ضد أعضائه إجراءات شديدة إلا أن نجاح عملية قامت بها هي محاولة الوصول إلى التفريق بين العناصر الدستورية التقليدية العربية الإسلامية، والتي كان لها تاريخ في سجل الكفاح السياسي وبين العناصر الشابة ذات الثقافة الفرنسية الحديثة، وأدى هذا إلى ظهور الحزب

1- خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص 92.

2- طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 57.

*- المؤتمر الافخارستي: هو مؤتمر نظمته السلطات الاستعمارية الذي جنع رجال الدين المسحيين من دول عديدة في ناحية قرطاج 1930 للتبشير بالمسيحية.

3- خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص 95.

الحرّ الدستوريّ الجديد الذي أصبح يمثل مرحلة جديدة في تطوّر الحركة الوطنية التونسية.[1]

ثالثا- نشاط الحزب الحرّ الدستوري التونسي:

بعد تولي الثعالبي إدارة الحزب قام بنشاط حثيث من أجل خدمة قضية بلاده، سعى لنشر آرائه ومبادئه بين صفوف الشعب وكسب عضويتهم عن طريق الصحافة زيادة على الخطب التي كان يلقيها في المساجد والنوادي والساحات العمومية عمل أيضا على تكوين عدة مشاريع اجتماعية وثقافية لكي يتسنى للحزب أن ينظم الشعب عن طريقها تنظيما محكما، ولقي الثعالبي مساندة وتأييد له ولحزبه من طرف الباي "محمد الناصر"، وكذلك انخرط ابنه الأكبر " محمد المنصف" باي فيه وأدى يمين الإخلاص للحركة الوطنية.[2]

ولقد أشار الثعالبي جرائد لبثّ الدعاية للحزب بكامل أرجاء الوطن في المدن والأرياف، فمن الصحافة العربية التونسية نذكر جريدة الصواب التي تبنت آراء الحزب رسميا واهتمت بالدعاية له وشرح مطالبه وتنوه بغاياته وتشيد بذكره وتبث أفكاره ولما عطلت سلطة الحماية هذه الجريدة يوم 05 أفريل 1922 لاهتمامها بحادثة تنازل الباي عن العرش، خلفتها جريدة " الاتحاد" ولما تعطلت هذه الأخيرة من طرف صاحبها بالاتفاق مع سلطة الحماية، أنشأ الحزب الدستوريّ جرائد أخرى عبر فيها عن آرائه السياسية وغيرها وكان من بينها جريدة الأمة والمبشر والعصر الجديد، ولكنها جميعا تعطلت لأسباب كثيرة منها ما أوقفته سلطة الحماية ومنها ما توقف من تلقاء نفسه لأسباب مالية وغيرها، ومن صحافة الحزب الفرنسية نذكر جريدة "صدى الصحافة" التي أسسها الثعالبي في مارس 1923 وقد دافعت بشدة عن القضية التونسية، ثمّ أصدر الحزب جريدة أخرى

1- جلال يحي: المغرب الكبير وحركات التحرر والاستقلال، ج3، الدار القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1966، ص 1081

2- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 55.

سماها " الحرّ" سنة 1924، وأصدر خير الله الشاذلي جريدة "اللواء" و"الصوت التونسيّ" ثم تأسست جريدة فرنسية سنة 1932 لصاحبها بورقيبة هي "العمل التونسي".[1]

عملت كلّ هذه الجرائد العربية والفرنسية على نشر الدعاية للحزب وكسب أعضاء وجمع الأموال من الفلاحين والعمال والموظفين التونسيين وأثارتهم ضد سياسة سلطة الحماية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد أسس الحزب سنة 1920 مجلة خصصها لجمع الأموال، وهي " مجلة الفجر" التي كانت في ظاهرها علمية وأدبية ولكن باطنها كان وسيلة لجمع المال.[2]

لم يكتف الحزب بالاعتماد على مشاركة الشعب التونسي المادية والمعنوية، بل تعداها إلى جمع التبرعات من الشعب الجزائري، ووجه الدعوات لطلب الإعانة من الجمعيات الإسلامية في العالم، وقد راسل الشيخ الثعالبي يوم 25 نوفمبر الجمعية الإسلامية بلندن، يطلب منها بإعانة مالية لحزب الدستور وشرح لأعضائها ما يعانيه الشعب التونسيّ من مظالم حكومة الحماية، وذكرت الوثيقة أنّ هذه الجمعية الإسلامية قد أرسلت إعانات مادية إلى المغرب الأقصى، وهذا ما جعل الثعالبي يسرع في توجيه الطلب إليها وكان الحزب فعلا يعاني من أزمة مالية حادة إذ منعته الحكومة الفرنسية الاستفادة من تبرعات الشعب بقرار صادر سنة 1921، خاصة بعد أن تبين لها خلال التحقيق الذي أجرته في قضية الشيخ الثعالبي اعتماده الكلي على اشتراكات وتبرعات التونسيين.

اتفق أعضاء الحزب على توسيع عملية التبرعات باسم الجمعيات الخيرية واستغلالها لصالح الحزب الدستوري[3]. وقد انتشرت دعوة الحزب في العالم الخارجيّ وكان من أكثر الدول المغرب العربي الذين شاركوا وساندوا الثعالبي وحزبه هم

1- الشايب قدادرة: المرجع السابق، ص ص 123،124.

2- أحمد توفيق المدني: المصدر السابق،ص ص 179،180.

3- يوسف مناصريه: المرجع السابق، ص ص70،71.

الجزائريون حيث اعتبروا قضية الحزب الحرّ الدستوري التونسي قضيتهم، فاندفعوا للعمل فيه ودعموه بجهودهم السياسية والمالية والفكرية، ولم يكن هذا العمل مقصورا على المهاجرين الجزائريين المستقرين بمختلف المدن التونسية، بل كان منتشرا أيضا في المدن الجزائرية وأريافها وكان الجزائريون يهدفون إلى استقلال القطرين التونسيّ والجزائري.[1]

بالإضافة إلى الصحف التي اعتمد عليها عبد العزيز الثعالبي والحزب اعتمدوا أيضا على العناصر الشابة حيث استغلوا طلبة جامع الزيتونة وغيرهم من مراكز التعليم في بثّ الدعاية للحزب خاصة أثناء عطلهم الصيفية، وقد ذكرت مصالح الشرطة الفرنسية أن أعضاء الحزب الدستوريّ قد طلبوا في صيف 1922 من طلبة جامع الزيتونة الأعظم أن يستغلوا عطلهم الصيفية في تنظيم شعب للحزب بمدنهم و قراهم والعمل على الدعاية له وكسب الأعضاء له بهذه الأماكن.[2]

رابعا-نشاط بورقيبة في الحزب الحر الدستوري التونسي:

كان الحزب الحر الدستوري معارضا لسلطة الحماية والاستعمار الفرنسي ودافع من أجل استقلال تونس لكن حدثت فيه انشقاقات بين أعضائه المؤسسين وخاصة ظهر الحزب الإصلاحيّ الذي انشقّ عنه ومال إلى سياسة المهادنة مع سلطة الحماية وطالب بربط تونس بفرنسا كليا (الادماج) هذه الانشقاقات ساهمت في تنمية الوعيّ الوطني عن طريق المجادلات التي كانت تتبادلها الأطراف المنشقة عن الحزب عبر جرائدها التي أسسها ومناضليها، ففي بداية الثلاثينيات من القرن 20 بدأ الطلبة التونسيون المتخرجون م المعاهد والجامعات الفرنسية في الدخول بالنضال السياسي بقوة في سنة 1932 أسسوا جريدة ناطقة باللغة الفرنسية أطلقوا عليها اسم " العمل التونسيّ" التي ساندت الحزب الحر الدستوريّ، وكان على رأس هذه المجموعة "محمد الماطري" و" الحبيب بورقيبة" وشقيقه "محمد بورقيبة" وقد برزت هذه المجموعة في المجتمع التونسيّ وأصبح لها شعبية وهذا

1- الشايب قدادرة: المرجع السابق، ص 126.

2- الشايب قدادرة: المرجع السابق، ص 129.

راجع لموقفها المعارض لقانون التجنيس الذي أصدرته الإدارة الاستعمارية بتونس وذلك لتجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية الذي وافق عليه مجلس النواب ومجلس الشيوخ الفرنسي 1923، ولم يتوقف الاستعمار الفرنسي بتونس عن إصدار قانون التجنيس فقط بل أسس جمعيات لحماية المتجنسين والدفاع عن حقوقهم منها " عصبة المسلمين الفرنسيين".[1]

قاومت مجموعة العمل التونسي هذا القانون وخاصة الطاهر صفر بحجة أنه يهدف إلى القضاء على الدين الإسلامي وتنصير التونسيين وفرنستهم، وكلّ ذلك من أجل القضاء على الشخصية الوطنية التونسية، ووجد الشعب التونسي مجمعة من النخبة المثقفة والمتخرجة من الجامعات الفرنسية متضامنة مع قيمة التي يرفض التنازل عنها، وذهبوا حتى إلى المقابر الإسلامية لمنع دفع التونسيين المتجنسين بالجنسية الفرنسية، ووقعت أحداث دامية في المنستير وقصر الهلال وتونس العاصمة وسقط بعض التونسيين شهداء.[2]

استغل الحبيب بورقيبة جريدة "العمل التونسي" لإظهار أفكاره فلقد حلل على مدتها جميع حالات التي تعيشها تونس ومنددا بالسياسة الاستعمارية وعملائها التونسيين وكان يستغل كل الفرص للرد على حملات المتفوقين ضد الوطنين التونسيين والتشهير بجميع ألوان الاضطهاد واتخاذ موقف صارم تجاه قضية التجنيس[3]، وقد عرف بورقيبة كيف يستغل قضية التجنيس لصالح حزبه ووطنه، ففرنسا عندما فتحت باب التجنيس فإنها قد فتحت على نفسها باب لم تستطع إغلاقه أبدا، فتسلل بورقيبة ليضيف ذلك إلى رصيده النضالي لصالح القضية التونسية.[4]

1- عز الدين معزة: المرجع السابق، ص ص 168،169.

2- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 50.

3- أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر(1881-1956)ترجمة حمادي الساحلي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1986، ص 543.

4- الطاهر عبد الله: المرجع السابق ص 58.

لقد أدرك مناضلو الحزب الدستوري مدى ما يتمتع به الحبيب بورقيبة من تأثير وإشعاع على الرأي العام التونسي، وبناء على ذلك فقد قرر المؤتمر الاستثنائي للحزب المنعقد في 12 ماي 1933 انتخاب جماعة جريدة "العمل التونسيّ" أعضاء في اللجنة التنفيذية وهم: محمود الماطري، المحامي طاهر صفر، المحامي البحري قيقة، محمد بورقيبة، وشقيقه الأصغر المحامي بورقيبة الذي ضمّ إلى المجموعة بحكم أن رفاقه جعلوا منه مديرا للجريدة، غير أنّ التباين الثقافي بين الفريقين أدى إلى تقسيم الحزب، فقد كانت هذه الجماعة غريبة الثقافة ويسارية المنهج، فلم تتفق مع بقية أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الذين لهم ثقافة عربية إسلامية ذات اتجاه محافظ.[1]

رجع بورقيبة إلى تونس وعمل محاميا، وكان اتصاله بالواقع التونسيّ أليما ولكنه استطاع أن ينصهر فيه بكلّ شجاعة، فعلى مرّ الأيام كان يلاحظ انعكاسات السياسة الاستعمارية على شعبه، وقضى ثلاث سنوات في التشبع بذلك الواقع الأليم والتأمل في الوضع الراهن وذلك بنشر أفكاره السياسية في جريدة " الشاذلي خير الله" صوت التونسيّ الناطقة بلسان اللجنة التنفيذية للحزب الدستوريّ[2]، والتي أصبحت أفكار متشكل خطرا لم يرتح لها الاستعمار، حيث طالب بورقيبة في المؤتمر المنعقد عام 1933 بقيام برلمان التونسي منتخب وتشكيل حكومة مسؤولة أمام البرلمان ومنح الحريات العامة للتونسيين.

1- يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 196.
2- أحمد قصاب: المرجع السابق، ص 543.

الفصل الثالث

نضال بورقيبة ضمن الحزب الدستوري الجديد (1934-1952م)

أولا: تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد والصراع بين الجيلين

ثانيا: نشاط بورقيبة ما بين (1934-1939م)

ثالثا: نشاط بورقيبة ما بين (1939-1945م)

ثالثا: نشاط بورقيبة ما بين (1945-1952م)

أولا: تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد والصراع بين الجيلين

ضعفت الحركة الوطنية داخل تونس فترة طويلة من الزمن بسبب نفي "الثعالبي" كان يقودها المحامي "أحمد الصافي" والزعيم "محي الدين القليبي" وقد أثار الجمود الذي أصاب الحزب الدستوري بعد نفي زعيمه "الثعالبي" تأثره من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا فقاموا بتأسيس جريدة "صوت التونسي" في سنة 1928 وكان يديرها "الشاذلي خير الله ابن مصطفى"، وفي سنة 1928 حولها إلى جريدة باسم "العمل التونسي" وكلتاهما تصدر باللغة الفرنسية أن الصحف العربية كانت ممنوعة والموجود منها تمنع من الخوض في المشاكل السياسية الوطنية، والتف حول جريدة "صوت التونسي" نخبة من شباب الحزب الدستوري التونسي، وقد استطاعت هذه الأخيرة أن تخلق تيارا واسعا أدى إلى تنشيط الحزب وإعادة الحياة إلى صفوفه، ولم تمض مدة طويلة على هذه الجريدة حتى انشق عنها نفر من الشباب وأسسوا جريدة "العمل تونسي".[1]

تعود البدايات الأولى لظهور الحزب الدستوري الجديد إلى النشاط الكثيف الذي انفردت به جماعة جريدة "العمل التونسي" منذ تأسيسها 1932م، حيث شنت هذه الأخيرة حملة كبيرة على قانون التجنيس الذي أصبح يهدد الهوية التونسية العربية الإسلامية، والتي دعت إلى منع دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية في المقابر الإسلامية، فكثرت المصادمات بين الجماهير الشعبية وقوات الأمن، فاضطرت السلطة الفرنسية إلى تخصيص أماكن لدفن المتجنسين خارج مقابر المسلمين، فكان ذلك انتصار كبير أحرزته الحركة الوطنية التونسية وجماعة "العمل التونسي" على وجه الخصوص، فشرع الحزب في وضع خطط ملائمة لظروف تلك المرحلة، ولما رأت اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري ما أحرزه هؤلاء الشباب من نجاح عقدت مؤتمرا وطنيا عاما، وهو مؤتمر

1 -حدة غضبان: المرجع السابق، ص73.

"نهج الجبل" يومي (12-13 ماي 1933م) فألقى "الحبيب بورقيبة" خطابا منهجيا شرح فيه الأسباب الداعية لهذا التجمع وأهدافه.[1]

كما صادق المؤتمر في اليوم الأخير من أشغاله (13 ماي 1933م) على ميثاق وطني جاء فيه أن الغاية التي يرمي إليها الحزب هي تحرير الشعب التونسي ومنح البلاد قانونا منيعا في شكل دستور يحمي الشخصية التونسية ويقر سادة الشعب.

فازداد نشاط الحركة الوطنية التونسية وساد التضامن بين قادة فقررت سلطة الحماية الفرنسية إزاء هذا أن تتخذ تدابير صارمة لوقف تيار الحركة الوطنية، فأصدرت قرار خاص بإنشاء مقابر خاصة للمتجنسين التونسيين[2]، وقد مات بعض المتجنسين ومنع الشعب دفنهم في مقابر أجدادهم، وقد وقعت أحداث دامية في المنستير والمكنين وقصر هلال وتونس العاصمة واستشهد عشرات الوطنيين وعلى رأس هؤلاء الشهداء "شعبان البحوري" وخاصة عندما سخر الاستعمار قوات هائلة لسحق الشعب والحركة الوطنية ولكن الكفاح الشعبي استمر قويا حتى سنة 1936م.[3]

وفي هذه الأثناء طالبت الجالية الفرنسية بتعيين مقيم عام جديد، واستجابة لهذه الرغبة عينت الحكومة الفرنسية المقيم مارشال "بيرطون" لتمثيلها بالبلاد التونسية وذلك بتاريخ (29 جويلية 1933م) ولقد وصل هذا الأخير إلى تونس في وقت زغزعت فيه الأزمة جميع القطاعات النشاط الاقتصادي بالبلاد التونسية، ولقد حاول المقيم العام بوسائل ملتوية تقسيم الحزب الدستوري شعورا منه بخطورة الوضع، وقد كان على علم بالخلافات الموجودة بين قادة الحزب فأراد توسيع شقة الخلاف وذلك باستمالة الزعماء المعتدلين عن طريق بعض الإجراءات التهدئة من ذلك مثلا أنه:[4]

1 - قدادرة شايب: المرجع السابق، ص110

2 - قدادرة شايب: المرجع نفسه ، ص111.

3 - الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص58.

4 - أحمد القصاب: المرجع السابق، ص544.

- شكل لجنة فكلفها بإعداد الإصلاحات التي تراها ضرورية.
- عين لإدارة جامع الزيتونة الشيخ الطاهر بن عاشور.
- أعاد الشيخ الذين عزلهم "مانصرون" المقيم العام الأسبق إلى عمله الأساسي إلى جامع الزيتونة.
- زاد عدد أعضاء القسم التونسي في المجلس الكبير.[1]

ولقد نشبت خلافات بينهم وبين قيادات الحزب لعدة أسباب منها الصراع على قيادة الحزب، فاللجنة التنفيذية للحزب لم تعد قادرة على قيادته بعد غياب الثعالبي، وانتهزا هذه الفرصة محاولين السيطرة على قيادة الحزب، ولقد دعا المقيم العام الفرنسي أعضاء التنفيذية للحوار معهم حول إصلاحات يزعم إعطاءها للحركة الوطنية، وطلب منهم أن يكون الحديث سرا خشية من أن يستمع حزب المستوطنين الفرنسيين به، وبما أن اللجنة التنفيذية للحزب اعتبرت هذه المقابلة سرية، فقد طلبت عدم إفشائها[2]، وبما أن للمحامي "البحري قيقة" عضو اللجنة التنفيذية فقد أبلغ صديقه "الشاذلي خير الله" بهذه المحادثة، واتصل هذا الأخير بمدير جريدة "تونس الاشتراكية" التي نشرت مضمون تلك المحادثة، فدعا المقيم العام أعضاء اللجنة التنفيذية، ولامهم على ذلك فاتخذت قيادة الحزب قرارا بفصل "البحري قيقة" الذي أفشى السر، واستقال معه جماعة "جريدة العمل"، وبدأ الصراع يشتد أكثر بينهم وبين اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري وسموا أنفسهم الحزب الحر الدستوري الجديد.[3]

إن الاختلاف في الثقافة بين جيل الشباب المطلع نحو التجديد والاقتباس من الحضارة الغربية وجيل الشيوخ الذي تعود على طريقة في الكفاح تقوم على نشر المقالات في الصحف والاحتجاجات أدى إلى اختلاف المنهج وأسلوب العمل، والملاحظ أن هذا

1 – محمود شاكر: التاريخ الإسلامي المعاصر لبلاد المغرب، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص148.

2 – عز الدين معزة: المرجع السابق، ص172.

3 – الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص59.

الأسلوب لم يعد يرضي الشباب الذين تعودوا بحكم اتصالهم بالأحزاب الفرنسية وانضمام بعضهم إلى صفوفها بحكم أثناء دراستهم بفرنسا على أساليب التنظيم الحزبي وتكوين الخلايا الحزبية، وولد هذا نفورا لدى جيل الشباب من الأساليب التي كانت تسير عليها قيادة الحزب وخاصة بعد ضعف "الثعالبي"، فاتخذوا بذلك من حادثة فصل رفيقهم "البحري قيقة" حجة للاستقالة، فما كان من بعض شعب الحزب وفروعه إلا أن قامت بالدعوة إلى عقد مؤتمر لحسم الخلاف خوفا من أن يصاب الحزب بالانهيار.[1]

حضر المؤتمر الذي دعا إليه أعضاء الحزب الجديد العديد من الشعب الحزبية، وقد عرف هذا المؤتمر بمؤتمر "قصر هلال" في مارس 1934م، وانتخبوا مكتبا سياسيا وأصبح من هذا التاريخ حزبان دستوريان الحزب الدستوري الجديد الذي جرّ خلفه الأغلبية والحزب الدستوري القديم حزب "الثعالبي"، وقد عمل "الماطري" على انتخاب الحبيب بورقيبة أمينا عاما للحزب[2]، وقد استبشرت السلطات الاستعمارية لهذا الانقسام وعملت على توسيع شقة الخلاف بين الحزبين من ذلك أن المقيم الفرنسي بيروطون تسعى لإثارة روح الفتنة والاختلاف لظنه بأنه يستطيع إخماد نشاط الحركة الوطنية.

بدأت المعارك الصحفية بين "جريدة العمل" لسان الحزب الدستوري الجديد وجريدة "الإدارة" لسان الحزب الدستوري القديم بين "المنصف المنستيري" في الحزب القديم و"الطاهر صقر" و"محمود الماطري" من الحزب الجديد واشتدت المعركة بينهما فأعضاء الحزب الجديد يتهمون القديم بالجمود والسلبية والقدامى يتهمون الجدد بالارتماء في أحضان الغرب الإسلامي.[3]

وكانت الحكومة الفرنسية في شهر أفريل من عام 1936 قد غيرت المقيم العام "بيرطون" بمقيم جديد هو "أرمان قيون" الذي قام بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين،

1 – الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص61.

2 – شارل أندي جوليان: المرجع السابق، ص101.

3 – الطاهر عبد الله: المرجع نفسه، ص62.

وفي هذا الجو برز الحزب الحر الدستوري الجديد وزعيمه "الحبيب بورقيبة" الذي بنى السياسة القائمة على مبدأ خذ وطالب وسافر إثر عودته من المنفى بين سنتي 1936 و 1937 إلى فرنسا واتصل بالدوائر الفرنسية وتقدم بطلب إصلاحات تستهدف منح تونس برلمانا وحكومة مسؤولة لدى البرلمان.[1]

ثانيا: نشاط بورقيبة ما بين (1934-1939م):

بعد انتهاء التعاون بين الحزب الدستوري وبين جماعة "العمل السياسي" دعا "بورقيبة" أعضاء الحزب إلى عقد مؤتمر بقصر الهلال[2] حيث حضر المؤتمر 60 شعبة دستورية، وقد أدار النقاش جماعة "العمل التونسي" وعلى رأسهم "الحبيب بورقيبة" الذين أحاطوا المؤتمرين علما بتطورات الأزمة وأدانوا سياسة التعاون التي انتهجتها اللجنة التنفيذية واقترحوا توسيع الكفاح من أجل تحرير الوطن، فأعلن المؤتمر عن حل اللجنة التنفيذية، وصادق على النظام السياسي للحزب وعين أعضاء الديوان السياسي الجديد.[3]

ولقد حاول الحاكم العام الفرنسي تفكيك القوى الوطنية بعد الانشقاق الذي حدث في مؤتمر قصر هلال، ولكن الأحداث كذبت هذه التوقعات، فنشاط "بورقيبة" وجماعته امتد إلى كامل البلاد وشنوا إضرابات متكررة شلت الحركة بأسواق العاصمة، وذلك لإجبار سلطة الحماية على التفاهم مع الحزب الدستوري الجديد وتحقيق مطالبه بالدرجة الأولى في وضع دستور يضمن للشعب التونسي حكمه الذاتي ويسير شؤونه بنفسه.[4]

إن الحزب الحر الدستوري الجديد استطاع أن يثبت خلاياه عبر كامل البلاد التونسية، وذلك بالرغم من السياسة التعسفية التي لجأ إليها المقيم العام "بيرطون" المعروف بكراهيته لقيادة الحركة الوطنية عكس "مانصرون" الذي ترك المجال لجماعة "العمل

1 – الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص63.

2 – شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص415.

3 – شايب قدادرة: المرجع السابق، ص93.

4 – علي محجوبي: الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986، ص105.

التونسي"، هذا النشاط النضالي الوطني أقلق المقيم العام الفرنسي، فلجأ إلى استعمال القوة والترهيب، وأمر بإلقاء القبض يوم 03 سبتمبر 1934 على سبعة زعماء منهم "الحبيب بورقيبة" و "الدكتور الماطري" وابعدوا إلى الجنوب التونسي[1]، ورغم ذلك فقد استطاع "الحبيب بورقيبة" أن يبقى على اتصال بحزبه، واستطاع أن يوجه رسائل إلى المناضلين يطلب منهم مواصلة النضال، وعندما علم المقيم العام بذلك عزله إلى برج لبوف، وهدده مع زملائه بإبعادهم إلى جزيرة مدغشقر، ولكن ذلك لم يثن من عزيمة الحبيب بورقيبة فقد استمر في توجيه النصائح إلى الشعب والحزب وحثهم على ضرورة مواصلة الضغط وعدم الاستسلام مهما كانت العراقيل.

وأمام هذا الضغط لجأت الحكومة الفرنسية إلى انتهاج سياسة جديدة في تونس فأقدمت على تعويض المقيم العام "بيروطون" بشخصية أخرى هي شخصية "جيون" سنة 1936م، الذي بادر بإطلاق سراح المعتقلين وأباح الحريات العامة فانتشرت الشعب الدستورية بسرعة كبيرة في كامل التراب التونسي، وفي ما 1936م أطلق المقيم العام سراح المعتقلين الدستوريين، مصادف ذلك انتصار الجبهة الشعبية بفرنسا وأصدر كذلك عفوا على الزيتونيين المحكوم عليهم، وأعاد حرية الصحافة والاجتماع وكلف "الحبيب بورقيبة" مباشرة بعد إطلاق سراحه بإبلاغ المسؤولين الفرنسيين برنامج الحزب الدستوري الجديد الذي يتمثل في:[2]

- إقامة نظام برلماني يعتمد على فصل السلطات.
- إعادة تنظيم الوظيفة العمومية لفائدة التونسيين.
- إصلاح الإدارة الجهوية والعدلية وتعميم التعليم الإجباري والتدريس باللغة العربية.

1 – أحمد قصاب: المرجع السابق، ص551.

2 – عز الدين معزة: المرجع السابق، ص183.

وكان الدستوريون الجد يأملون أن تتمكن حكومة "ليون بلوم" وهي أول حكومة يسارية حقيقية عرفتها فرنسا منذ الحرب العالمية الأولى، من إدراك رغائب الشعب التونسي وأخذ مطالب الدستوريين بعين الاعتبار، لكن حكومة "ليون بلوم" انقضت ولم تحقق أي نصيب من الآمال التي علقها الوطنيون التونسيون عليها، وهذا بسبب ضغط الجالية الفرنسية بتونس والتي اتخذت موقفا متشددا للغاية في حين اضطرت الحكومة الفرنسية أمام ذلك إلى ترك المسائل الاستعمارية.[1]

وفي هذه الظروف سافر "بورقيبة" إلى باريس واستقبل بحفاوة وأوصله "شارل أندي جوليان" بالسيد "بيارفيانو" كاتب الدولة للشؤون التونسية والمغربية، وذلك يوم 06 جويلية 1936م، حيث أدى استعداده لقبول بعض المطالب التي تبناها "الحبيب بورقيبة" والقائم العام على مبدأ "خذ وطالب" عاد بورقيبة إلى تونس في شهر سبتمبر 1936م.[2]

سافر "الحبيب بورقيبة" مرة أخرى إلى باريس في أواخر 1937م لإجراء حوار مع المسؤولين الفرنسيين وتقديم المطالب التونسية، بينما قدم إلى تونس في فيفري 1937م "بيار فيانو" للاطلاع على الحالة بنفسه، أقام 10 أيام بتونس استخلص نتائج التحقيق الذي قام به ففي خطاب ألقاه براديو تونس في مارس 1937م بين فيه الأوضاع السيئة التي تعيشها البلاد معلنا عن إصلاحات هامة تقوم بها فرنسا بتونس، كما عبر عن رفضه لكل سياسة ترمي إلى الإدماج وبين بوضوح أنه يفضل سياسة الاشتراك والحصول على رضا التونسيين بكل حرية، ولقد تقبل الدستوريون خطاب "بيارفيانو" بارتياح، ولو أن الإصلاحات المقترحة تبدو لهم غير كافية، إلا أنهم اجتنبوا المزايدات وعبروا لفرنسا عن حسن نيتهم فقد صرح "الحبيب بورقيبة" قائلا[3]: «بأن الوحدة لا تنفصم بين تونس وفرنسا

1 - أحمد القصاب: المرجع السابق، ص558.

2 - عز الدين معزة: المرجع السابق، ص ص 183،184.

3 - آمال واعر: بورقيبة ودوره في الحزب الدستوري الجديد 1934-1956، رسالة ماستر في تاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015، ص74.

تمثل القاعدة الأساسية لمطالب الحزب الدستوري الجديد»، في حين تم رفض المستوطنون تلك الإصلاحات، وأثاروا في تونس سلسلة من الأعمال الموجهة ضد التونسيين حيث تم إطلاق النار على العمال المضربين وقتل 5 منهم، واستنكر الحزب الدستوري الجديد تقتيل العمال التونسيين مواصلة سياسة القمع، وصادف هذا احتضار حكومة "بلوم" التي سعت إلى تخفيف وطأة الاستعمار والقيام بإصلاحات في المستعمرات الفرنسية وتم الإطاحة بها بتاريخ 21 أوت 1937، فتضاءلت آمال الحزب الدستوري الجديد في مواصلة الحوار مع فرنسا.[1]

عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمره الثاني "بنهج التريبونال" في أكتوبر 1937 وحضره مندوبو الحزب من كل البلاد، ألقى رئيس الحزب بهذه المناسبة "الماطري" كلمة رحب بها الضيوف، وفي خلال كلمته حذر المناضلين من المظاهرات الفوضوية والتصريحات العدائية تجاه المستوطنين وإدارة الاستعمار، ففي نظره أن هذه الأعمال تؤدي إلى رد فعل انتقامي دون الحصول على أي شيء، وأما "الحبيب بورقيبة" فقد ألقى هو الآخر خطابا تميز بالواقعية، وتم في هذا المؤتمر اتخاذ قرارات في منتهى الخطورة لمجابهة الاستعمار، ومن بين هذه القرارات: الإعلان عن سحب الثقة من الحكومة الفرنسية ومجابهة الاستعمار بالعنف، ونتيجة لما يترتب عن ذلك وقع خلاف بين رئيس الحزب "الماطري" الذي رفض اللجوء إلى العنف كوسيلة لتحقيق الاستقلال، وبين "بورقيبة" الأمين العام للحزب، فقد "الماطري" إثرى ذلك استقالته من الحزب ويقول الحزبيون القدامى، وبعض الحزبيون الجدد الذين انشقوا عن "بورقيبة" إن جو العنف الذي ساد المؤتمر وقراراته التي لم يوافق عليها "الماطري" التي كانت تستهدف بالدرجة الأولى إقصاء هذا الأخير من رئاسة الحزب وإضعاف الحزب الدستوري القديم ويعتبر هؤلاء أن

1 – احمد القصاب: المرجع السابق، ص559.

هذه المناورة كانت مدبرة من "بورقيبة" الذي كان يريد أن يسيطر على الحزب الجديد ويوجهه.[1]

وعلى إثر الاضطرابات وموجة الاضطهاد الاستعماري التي بدأت بالمغرب ثم الجزائر وانتهت بتونس، وقع أول صدام بين الجيش الفرنسي والجماهير في مدينة "بنزرت" استشهد فيه عدد كبير من المواطنين، وقد حاول "بورقيبة" في عدة جهات من البلاد محرضا الشعب التونسي على مواجهة السياسة الاستعمارية، هذه الجولات امتدت من الوطن القبلي إلى الجنوب ولم يتوقف فيها "بورقيبة" عن تحريض الشعب التونسي إلا أن أصيب بالتهاب حاد في حنجرته ألزمه الفراش، ووقعت كذلك اصطدامات أخرى بين الجيش الفرنسي والجماهير في كامل البلاد التونسية واعتقل زعيمين من حزب الدستور الجديد هما[2]: "سليمان بن سليمان" "صالح بن يوسف" ودعا "علي بهلوان" إلى شن إضرابات شاملة[3]، وفي يوم 9 أفريل انتشر خبر اعتقال "علي البهلوان" فتجمع المتظاهرون أمام قصر العدالة حيث يوجد هذا الأخير فقامت قوات الأمن بتشتيت المتظاهرين، فأعلنت السلطة الاستعمارية حالة الحصار في البلاد وعمدت إلى إلقاء القبض على قادة الحزب الدستوري الجديد وفي مقدمتهم "الحبيب بورقيبة"، وزج بهم في السجن العسكري بدعوى التآمر على أمن الدولة.

حل الحزب الدستوري الجديد وأغلقت نواديه، وبالرغم من هذه الإجراءات القمعية فإن مناضلي الحزب الدستوري الجديد واصلوا صمودهم ومقاومتهم للاستعمار، وخلال مدة سجن قادة الحزب الدستوري الجديد اعتقدت السلطات الاستعمارية أن الوضع سيهدأ، غير أن الحركة الوطنية التونسية لم تتوقف عن النضال بالرغم من وجود قيادته في السجن، فقد تتالى إلى تكوين الدواوين السرية، من ذلك ظهور الديوان السياسي الخامس

1 – الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص65.

2 – صافي سعيد: المصدر السابق، ص112.

3 – Andri Raynond , anponcet : la Tunisie presses unversitowes de Frances, 1971, paris, p61.

في 1939م برئاسة "الباهي الأدغم" وكان هدفها تنشيط الدعاية الوطنية وإصدار المناشير لحث الشعب على القيام بأعمال تخريبية والمطالبة بالإفراج عن المساجين السياسيين.[1]

ثالثا: نشاط بورقيبة ما بين (1939-1945م)

بعد اعتقال "بورقيبة" وزملائه ونقلهم إلى السجن بتونس ثم إلى سجن "تبرسق" ثم نقلوا إلى سجن "سان نيكولا" بالقرب من مرسيليا، ورغم ما قامت به سلطات الاستعمار ضد قادة الحزب الدستوري الجديد، إلا أن بقية الدستوريين الجدد قد تمكنوا من إعادة تنظيم سري لحزبهم، وقد قاد حركتهم "الباهي الأدغم" وقد أسسوا خلايا سرية للحزب الدستوري الجدي انحصرت مهمتها في تدمير الجسور وقطع الأسلاك الهاتف، واغتيال الاستعماريين، وبث الرعب فيهم وكان نتيجة ذلك اعتقال "الباهي الأدغم" ورفاقه ونقلهم إلى سجن "لامبيز" بالجزائر، وبعدما حل الحزب الدستوري الجديد من اضطهاده[2] دعا الدكتور "الحبيب ثامر" من فرنسا تولي قيادة الحركة الوطنية التونسية مدعما بقريبة "الطيب سليم"، تركزت مطالب الحركة في إطلاق سراح المعتقلين، وواصلوا تنظيم الخلايا السرية وتقديم العرائض.[3]

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية وانكسرت فرنسا أمام ألمانيا في 1940م وقيام حكومة "فيشي" كان لهذا الوضع الجديد انعكاساته السياسة والاقتصادية والاجتماعية على تونس، فقد وقع انقسام داخل الحركة الوطنية التونسية منهم من يرى ضرورة الاستفادة من الألمان لاستقلال البلاد، وبين معارض لذلك وعلى رأسهم "الحبيب بورقيبة" الذي تمكن رغم جميع العراقيل من إبلاغ التونسيين وتحذيرهم من التعاون مع قوات المحور.[4]

1 – خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص 113

2 – الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص ص 66،67.

3 – أحمد القصاب: المرجع السابق، ص569.

4 – أمال واعر: المرجع السابق، ص80.

وفي الوقت الذي ابتهج فيه الحزب الدستوري القديم بسقوط فرنسا وإبداء إعجابه بالماريشال "بيتان" حيث كان يعلق أمالا كبيرة، حيث صرح بهذا الخصوص "عبد العزيز الثعالبي" قائلا: "إن الإسلام يحب القوة والعدل، وقد أظهر تفضيله للقادة، فقد وجه الدستوريون الجدد أنضارهم إلى "أحمد باي" بالرغم من عدم اكتراثه ونبهوه إلى أن مهمة فرنسا قد انتهت، وأعادوا المظاهرات للمطالبة بإطلاق جميع السجناء المعتقلين، لكن السلطات الاستعمارية قامت باعتقال "الحبيب ثامر" و"الطيب سليم" وحكمت عليهما المحكمة بالأشغال الشاقة، لكن رغم هذه الاضطهادات لم يقف الحزب الدستوري بل واصل نشاطه.[1]

توفي أحمد باي في جوان 1942 وجاء بعده الباي "أحمد المنصف" حيث أعطى هذا الأخير البلاد وحدة وطنية في لحظة تشتت القوى الوطنية المتمثلة بالحزب الدستوري، حيث أصبح بإمكان الحزب تقديم مطالبه إلى المقيم العام الفرنسي من خلال الباي، حيث أبدى رغبته في القيام بجملة من الإصلاحات تمثلت في تقديم مذكرة إلى الحكومة الفرنسية تضمنت 16 نقطة من أهم ما جاء فيها: تكوين لجنة مجلس استشاري تونسي، إطلاق سراح المساجين السياسيين، وإلغاء أمر 1898 الذي يخول المعمرين الاستحواذ على أراضي الأوقاف، ورغم تأثير الدعاية الألمانية والإيطالية على شعور التونسيين فقد التزم "المنصف باي" بالحياد إزاء الحلفاء والمحور ورفض أمر "فيشي بمعاداة الحلفاء وأبلغ موقفه إلى الرئيس الأمريكي "روزفلت" وإلى المستشار الألماني "هتلر" طالبا تجنيب التونسيين آثار الحرب، وذلك بعد إنزال قوات الحلفاء على سواحل شمال إفريقيا، زيادة على وجود القوات الإيطالية الألمانية ممل جعل تونس أكبر ساحات لمواجهة في الحرب العالمية الثانية.[2]

1 – شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص102.

2 – خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص115.

في حين أن "الحبيب بورقيبة" وهو في سجن "سان نيكولا"، فإنه رفض التعاون مع دور المحور، وحين علم أن بعض الوطنيين أبدوا تعاطفا مع ألمانيا وجه رسالة من سجنه مع ابنه الحبيب إلى القادة الدستوريين الجد وعلى رأسهم الدكتور "الثامر" وذلك في أوت 1942 ومما ورد فيها: "عدم الانسياق وراء الدعاية النازية طالبا منهم الاتصال فورا بأنصار الجنرال "ديغول"، وفي سنة 1942 أطلق سراح مساجين "سان نيكولا" بعد غزو المنطقة الحرة بمرسيليا، وسلموا إلى السلطات الإيطالية التي نقلتهم إلى روما في 1943م، أما "الحبيب بورقيبة" فقد استقر في قصر فيورينيتي الإيطالية حيث كان محل حفاوة قائمة من طرف السلطات الإيطالية، ولكنه وضع شرطا مسبقا للتفاهم مع روما ألا وهو استقلال البلاد التونسية.[1]

تكلم "الحبيب بورقيبة" لأول مرة في إذاعة روما، فألقى خطابا كان يحتوي على تلميحات إلى الاعتداءات المفرطة التي قام بها الاستعمار الفرنسي، وكما احتوى الخطاب على نداء لتوحيد الصفوف حول العرش، وبعد ذلك بيومين رجع "الحبيب بورقيبة" إلى تونس بعد أن قضى 5 سنوات في السجن، وبعد عودة هذا الأخير إلى تونس استأنف قادة الحزب الدستوري الجديد نضالهم من جديد وانتشرت خلاياهم في المدن والقرى، وأنشئوا منظمة الشباب التونسي، وأمرهم "الحبيب بورقيبة" بتوزيع المنشور على الشعب التونسي يدعو فيه إلى الوقوف إلى جانب الحلفاء.[2]

دخلت جيوش الحلفاء إلى العاصمة تونس في ماي 1943، وهو اليوم الذي اقتحم الجنود الإنجليز قصر "حمام الأنف" حيث يوجد "الباي" فألقوا عليه القبض، في حين كان الفرنسيين يلحون الحاجة شديدا في المجلس العسكري على ثلاثة أمور عزل "المنصف الباي"، وإلغاء العائلة المالكة، وإعلان تونس كجزء لا يتجزأ من فرنسا[3]، وقد طلب منه

1 – شايب قدادرة: المرجع السابق، ص152.

2 – الصافي سعيد: المصدر السابق، ص119.

3 – أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص502.

التوقيع على معاهدة التنازل عن العرش فرفض ذلك وعندئذ أمضى الجنرال "هنري جيرو" القائد الأعلى للقوات الفرنسية بشمال إفريقيا أمرا يقضي بعزل الباي "محمد المنصف" ونفيه إلى الأغواط حيث توفي هناك في ديسمبر 1948م.

بعد عزل "منصف باي" عوض بآخر هو "الأمين باي" وشنت حملة واسعة ضد المتعاملين مع المحور، أما قادة الحزب الدستوري الجديد فقد سعوا إلى رفع الالتباس، وبعد المقابلة التي جرت بين "الحبيب بورقيبة" والجنرال "مورو" لم يبق للسلطات الفرنسية أي شك حول موقف الحزب الدستوري الجديد تجاه الحلفاء، ولم يواجه "بورقيبة" أية صعوبة لإقناع ممثلي الحكومتين الإنجليزية والأمريكية بمساندتهم المطلقة لقضيته العادلة.[1]

ومع ذلك قام الجيش الفرنسي في كل أنحاء القطر التونسي بحملة قمع جماعي فأصدرت أوامر ألقت القبض على الوطنيين، كل ذلك لإنزال الرعب في قلوب الشعب والقضاء على الحركة الوطنية التونسية ولكن الشعب أمام هذه الموجة من الاضطهاد صمد في مقاومته حتى أدى به الأمر إلى القيام بثورات مسلحة، وبالرغم من هذا فقد انتظم الحزب في الخفاء بجميع تشكيلاته القديمة، عقد قادة الرأي في تونس مؤتمرا في شهر فيفري 1954 واتفقوا على تقديم عريضة للحكومة الفرنسية تتضمن المطالبة بالاستقلال الذاتي للبلاد. [2]

لكن السلطات الفرنسية لم تغير موقفها بل شددت الخناق على الحزب وفرضت على الزعيم "بورقيبة" الإقامة الجبرية بتونس العاصمة، وإزاء هذه الحالة وبعد يئس قادة الحزب من الوصول إلى حل للقضية التونسية مع فرنسا، اتجهت أنظارهم إلى الخارج وخاصة إلى المشرق العربي، إذ نشأت رابطة الدول العربية بالقاهرة في 22 مارس

1 – أحمد القصاب: المرجع السابق، ص597.

2 – شايب قدادرة: المرجع السابق، ص155.

1945م التي سطرت دستورا يسمح لها بالنظر في جميع المشاكل التي تهم الدول العربية ومصالحها، كما خول للبلدان غير الأعضاء المشاركة في أعمال لجان الجامعة، ورأى بورقيبة مدى ما ينجز من نفع لبلاده من خلال اتصاله بالجامعة العربية، وعزم السفر إلى مصر والاتصال بأمين الجامعة العربية "عزام باشا"، وعزم أيضا على القيام بجولة واسعة عبر العالم حتى يتمكن من تبليغ كلمة بلاده إلى جميع دول العالم.[1]

ثالثا: نشاط بورقيبة ما بين (1945-1952م)

بعد تأسيس الجامعة العربية في 1945م، قرر "الحبيب بورقيبة" الهجرة إلى القاهرة للتعريف بالقضية التونسية، ومحاولة إدراجها ضمن جدول أعمال جامعة الدول العربية، لكن سياسة الاستعمار الفرنسي في تونس لم تسمح لبورقيبة بممارسة نشاطه السياسي فيها فكان عليه مغادرة تونس عسى أن يحرر بلاده، بدأ "الحبيب بورقيبة" رحلته إلى القاهرة حيث وصل إلى مدية "صفاقس" ثم أبحر إلى ليبيا ووصلها بعد ستة أيام تعرض فيها لأخطار كثيرة، ثم هرب من مطاردة الشرطة الفرنسية الذين اكتشفوا أنه وصل إلى حدود، وقد منعته السلطات المصرية من الدخول، وقد نجح عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية في استصدار أوامر للسماح له بالدخول إلى مصر في 26 أفريل 1945.[2]

كان هدف بورقيبة من السفر إلى القاهرة تحقيق هدفين أولهما جلب اهتمام المسؤولين والجماهير العربية للقضية التونسية، والهدف الثاني كان استعمال الشرق كقاعدة انطلاق نحو البلدان الأجنبية التي يتعين استمالتها للقضية التونسية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد مقر الأمم المتحدة.[3]

---

1 - عز الدين معزة: المرجع السابق، ص263.

2 - شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، 2007، ص275.

3 - أحمد قصاب: المرجع السابق، ص607.

بعد هجرة بورقيبة إلى القاهرة ظهرت وطنية تونسية أرادت أن تهيمن على الساحة الوطنية التونسية، وهي الزيتونيون بقيادة "محمد الفاضل بن عاشور"، وكذا المنصفيين الذين بلوروا حركتهم للمطالبة بإرجاع باس المنصف إلى عرشه، وحاول الحزب الدستوري القديم استعادة وجهه النضالي، أما الحزب الدستوري الجديد لم يحسم أمره من قضية "المنصف باي" فهو ينادي بعودته، وكان يرأسه في غياب بورقيبة صالح بن يوسف مع بقية أعضاء الديوان السياسي، وواصل هذا الأخير عمله محاولا تجاوز العراقيل التي تضعها أمام سلطات الاستعمار.[1]

بعد سفر "بورقيبة" إلى القاهرة تولى قيادة الحزب الدستوري الجديد "صالح بن يوسف" وبتوليه قيادة الحركة عمل على إعادة تنظيم الحزب وربط خلاياه ببعضها البعض، قاد الحزب الدستوري الجديد في أوت 1946 إلى عقد مؤتمر سمي بمؤتمر "ليلة القدر" برئاسة القاضي "العروسي حداد" وقد حظر هذا المؤتمر الوطني كل القوى السياسية في البلاد بما فيها الأحزاب والنقابات الموظفين ومندوبو عن جامع الزيتونة، وقد كان لهذا المؤتمر صدى بعيد إذ وحد بين جميع الاتجاهات والمشارب السياسية وجعلها كتلة واحدة متراصة في مواجهة العدو الاستعماري، وقد أعلن رئيس المؤتمر الحكم بالإعدام على النظام الاستعماري في تونس والمغرب العربي، واتخذ المؤتمر قرار بالإجماع بالمطالبة بالاستقلال التام والانضمام إلى جامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة، فمان كان من السلطات الاستعمارية إلا أن ردت على المؤتمر بحملة من الاعتقالات.[2]

استقر "بورقيبة" بالقاهرة وأسس مكتبا للحزب الدستوري الجديد حتى يحقق التكامل بين المناضلين في الداخل والخارج، وفي سنة 1946 التحق "الحبيب ثامر" و"الطيب سليم" ببورقيبة فقاموا جميعا بنشاط دعائي مكثف في القاهرة وسائر أقطار المشرق العربي

1 -محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط2، تعريب: محمد شاوش وآخرون، دار سراس للنشر والتوزيع،تونس، 1993، ص122.

2 - الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص71.

ونشروا الفصول التوضيحية بالنشريات العديدة الصادرة عن لجنة تحرير المغرب العربي.[1]

سافر "بورقيبة" إلى الولايات المتحدة الأمريكية بهدف التعريف بقضية تونس في هيئة الأمم المتحدة، وقد وصلته رسالة من "صالح بن يوسف" و"صالح فرحات" يفوضانه التحدث باسم تونس في المحافل الدولية، ومن هنا أصبح "بورقيبة" ناطقا رسميا وشرعيا للشعب التونسي حيث تمكن من تعريف الرأي العام الأمريكي بالقضية التونسية ولكنه لم يستطع إدراجها في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، ليعود بعدها "بورقيبة" إلى القاهرة، وبعودته تكون مكتب المغرب العربي الذي انعقد بين 15 إلى 22 فيفري 1947 بالقاهرة، وترأسه "عبد الرحمن عزام" الذي عرف بمعاداته للاستعمار، وكان المؤتمر يهدف إلى ضرورة العمل والكفاح من أجل الاستقلال لبلدان شمال إفريقيا، وتكوين جبهة مشتركة تعمل لصالح الحركات الوطنية المغربية، خلال الجلسة الثانية للمؤتمر ناقش الزعماء المغاربة مشروع تكوين لجنة لتوحيد الجهود الخاصة وأن واقع بلدان المغرب العربي أصبح يفرض ضرورة التكتل والعمل المشترك فقرروا إنشاء مكتب المغرب العربي، وأسندت رئاسته إلى "محمد عبد الكريم الخطابي"* وأمنتها إلى "الحبيب بورقيبة"[2]

ساءت العلاقات بين لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة وبين الحبيب بورقيبة نتيجة لاتصالاته من وراء اللجنة، وعمله الدائب على استثمار أعمال اللجنة لإبراز ذاته وشخصه، مما زاد الخلافات بينه وبين "الحبيب ثامر" من جهة و"عبد الكريم الخطابي" من جهة ثانية، ولما عرفوا باتصالاته بالسفارة الفرنسية فصلوه من الأمانة العامة للجنة تحرير

---

1 – شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص276.

* – عبد الكريم الخطابي: زعيم مغربي نفي إلى جزيرة في المحيط الهندي منتصف 1926م، وبقي فيها في سنة 1947إذ أرادت الحكومة الفرنسية جلبه إلى باريس للضغط على ملك المغرب محمد الخامس فاستطاع بمساعدة العديد من القادة المغاربة والعرب الهروب والاستقرار في مصر وكان له الفضل في تأسيس مكتب المغرب العربي، ينظر: محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مكتب الكتاب الأكاديمي، عمان، 2012، ص62.

2 – أمال واعر: المرجع السابق، ص88.

المغرب العربي وعينوا مكانه "علال الفاسي" رئيس حزب الاستقلال المغربي، وأصبح "عبد الكريم الخطابي" يتهم بورقيبة بالانحراف والتواطؤ مع الفرنسيين ضد حركة التحرر المغربية، وكذلك وقع خلاف بينه وبين "الحبيب ثامر"، بالإضافة إلى الخلافات التي كانت بينه وبين أعضاء تحرير المغربي العربي بالقاهرة، كانت هناك خلافات أخرى مع "صالح بن يوسف" رئيس الحزب الدستوري الجديد بعد سفر "بورقيبة" إلى القاهرة وسبب هذا الخلاف أن "بورقيبة" كانت تأتيه رسائل من داخل تونس تخبره بأن "صالح بن يوسف" و"المنجي سليم" يعملان على إقصائه من الحزب، خاصة أن "صالح بن يوسف" قد نضم الحزب تنظيما عصريا وكون له فروعا في أنحاء البلاد، وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن لا "المنجي سليم ولا "صالح بن يوسف" كانا يفكران في إقصاء بورقيبة لأن الظروف التي تمر بها تونس والحركة الوطنية لا يسمح بحدوث تصدع داخل الحزب الدستوري الجديد.[1]

إثر فشل جامعة الدول العربية وهزيمة الدول العربية في حربها ضد إسرائيل سنة 1948م اضطر "بورقيبة" للعودة إلى القاهرة[2] ليتابع بشكل أساسي مسألة الدعوة إلى الاستقلال[3]، حيث تراكمت في ذهنه الكثير من التجارب، باشر في العمل السياسي والاتصال المباشر بالجماهير داعيا إياهم إلى ضرورة الاستعداد للمرحلة الحاسمة والالتفاف حول الحزب وحول شخصه للدفاع عن القضية التونسية، وقد اتبع مع فرنسا سياسة المهادنة التي عابها على صالح بن يوسف لما كان في القاهرة، وبفعل اللجوء إليها خفت الخلافات بين الزعيمين، وحل التفاهم بينهما، ولكن شقة الخلاف كانت تتسع يوميا ولكن بصمت.[4]

1 الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص ص73،74.

2 – خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص123.

3 – عاطف عيد: موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية تونس والجزائر، إيديتو للنشر، بيروت، 1999، ص74.

4 – الصافي سعيد: المصدر السابق، ص ص 154-156.

تشكلت حكومة تفاوضية برئاسة "محمد شنيق" في سنة 1950م، وأقر مجلسها مشاركة الحزب الدستوري الجديد الممثل في "صالح بن يوسف" الذي أسندت له وزارة العدل، ولكن تجربة الحوار وسياسة المرونة التي انتهجها المقيم العام الفرنسي "لويس بريي" لم تمنع من استمرار الاحتجاجات والإضرابات للضغط على فرنسا لمنح تونس استقلالها الداخلي، ومن هذه الأحداث حوادث النفيضة يوم 20 نوفمبر 1950 والتي أسفرت عن استشهاد 5 تونسيين وجرح 20 آخرين، طالب "بورقيبة" بالهدوء ووضع المسؤولية على المستوطنين قائلا: "إن حزب الدستور هو من مد يده إلى المفاوضات، سيكون آخر من يسحب يده"[1]، لكن الإصلاحات 8 فيفري 1951 التي جاءت بعد المفاوضات جرت بتونس قد خيبت آمال الوطنيين التونسيين، استأنفت المفاوضات الفرنسية من جديد في باريس وقد طالب الوفد التونسي المفاوض برئاسة "محمد شنيق" منح البلاد التونسية الاستقلال الداخلي حالا، فرد وزير الخارجية الفرنسي "روبار شومان" بمذكرة مؤرخة في 15 ديسمبر 1951 أكد فيها أن العلاقات بين تونس وفرنسا ينبغي أن ترتكز على مبدأ السيادة المزدوجة فاستخلص "الحبيب بورقيبة" من هذه المذكرة عدم جدوى الحوار المباشر بين تونس وفرنسا حيث قال: إن جوا سيد شومان سيفتح عهدا من القمع والمقاومة،مع ما يتبع ذلك حتما من دموع وأحزان وأحقاد.[2]

اندلعت المعركة الحاسمة في 18 جانفي 1952 إثر الشكوى التي قدمتها الحكومة التونسية إلى منظمة الأمم المتحدة ضد الحكومة الفرنسية، قرر المقيم العام الجديد "دي هوتكلوك" منع مؤتمر الحزب الدستوري الجديد الذي كان مقررا عقده، كما أمر في نفس اليوم إلقاء القبض على "الحبيب بورقيبة" وإبعاده إلى مدينة طبرقة مع "المنجي سليم" وما إن انتشر خبر إيقاف "بورقيبة" حتى أعلن الاتحاد العام التونسي للشغل إضراب العام،

1 – الصافي سعيد: المصدر السابق، ص159.

2 – خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق، ص124.

انتظمت المظاهرات الشعبية في كامل البلاد التونسية، وقد تصدت لها الشرطة معززة بالجيش لتشتيت المتظاهرين، ورغم قرار المنع فقد عقد الحزب الدستوري الجديد بطريقة سرية يوم 18 جانفي 1952 برئاسة "هادي شاكر" وغيره من زعماء الحزب لدراسة الموقف، ولاتخاذ ما يلزم من قرارات، فوافق المؤتمر على لائحة تطالب بإلغاء معاهدة الحماية، ومنح تونس استقلالها[1]، لتواصل المقاومة في الأيام الموالية، والتي كانت في البداية على شكل مظاهرات وإضرابات لتتحول فيما بعد إلى حرب عصابات ومقاومات مسلحة في الجبال، فكان رد السلطة الاستعمارية ممثلا في تنظيم حركة إرهاب مضادة بواسطة منظمة إرهابية شبه رسمية تسمى "اليد الحمراء" وهي عصابة إرهابية كونها المستوطنون المتطرفون الذين حاولوا استعمال كل الوسائل لإبقاء تونس تحت سيطرتهم.[2]

اشتدت حركة المقاومة المسلحة، حيث بدأ التحاق أفواج من المناضلين بالمجاهدين المعتصمين بالجبال، وعملوا على تنظيم قواتهم، وانبثق من هذا التنظيم "جيش التحرير التونسي" الذي أصبح يقوم بعمليات مسلحة متواصلة شملت معظم أنحاء البلاد، وقد عمدت منظمة "اليد الحمراء" القيام بالاعتداء واغتيال عدد كبير من القادة الوطنيين في مقدمتهم "فرحات حشاد" الذي اغتيل يوم 05 ديسمبر 1952م، وكذلك "الهادي شاكر" الطي اغتيل يوم 13 سبتمبر 1953م، ومن ناحية أخرى أقدم المقيم العام على إقالة وزارة "محمد شنيق" وعوضها بوزارة برئاسة العميل "صلاح الدين بكوش"، كما أمر بإبعاد "الحبيب بورقيبة" إلى جزيرة "مالطا" حيث بقي هناك لمدة سنتين، وأمام تصاعد المقاومة التونسية اضطرت الحكومة الفرنسية إلى إعفاء المقيم العام "دي هوتكلوك" ليخلفه "بيار فوازار" الذي انتهج سياسة المهادنة والمراوغة والذي أصدر أمر بإطلاق سراح المعتقلين.

1 – شايب قدادرة: المرجع السابق، ص ص172-174.

2 – جلال يحي: المرجع السابق ،ص1136.

خاتمة

خاتمة:

كانت فترة ظهور الحبيب بورقيبة على مسرح الأحداث في تاريخ الحركة الوطنية التونسية فترة وطنية حيث كان له دور فعالا في سبيل استقلال تونس وطرد الوجود الأجنبي منها، فقد كان لبورقيبة مسار نضالي رائع وذلك للأفكار التي كان يتمتع بها، وهذا ما يجعلنا نستخلص النتائج التالية:

- أن بورقيبة ذو شخصية وطنية قوية، جعلته محل الاحترام وطني.
- أفنى بورقيبة كل حياته في خدمة القضية التونسية خاصة والقضايا العربية عامة.
- ظهور النشاط السياسي في تونس مبكرا وهذا بفضل نخبة وطنية والتي بدأ نشاطها في شكل حركات وجمعيات لتتطور فيما بعد إلى أحزاب سياسية.
- إن الانخراط المبكر لبورقيبة في الحياة السياسية، مكنه من بروز كشخصية سياسية وطنية وقومية.
- تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد 1934 بزعامة بوقيبة هذا الأخير ساهمت المدرسة الفرنسية في تكوينه والتي تركت أثرا كبيرا في نضاله في الحركة الوطنية التونسية، وخاصة الحزب الدستوري التونسي الجديد الذي استطاع أن يجعل له قاعدة شعبية التفت حوله وأصبح هو القائد لهذا الحزب.
- لقد قام بورقيبة بخدمة بخدمة قضية بلده وفضح كل أساليب المستعمر وبعث الوعي الجماهيري وكان دائما يدافع عن مقومات الهوية الوطنية والدينية.
- تمتع بورقيبة بالمهارة والقدرة على تسيير الحزب الدستوري التونسي الجديد.
- إن الحبيب بورقيبة قدم الغالي والنفيس من أجل مواجهة السلطات الفرنسية فلقد عاش حياته من أجل تونس حرة مستقلة.
- نجاح بورقيبة إلى حد ما في التعريف بالقضية التونسية، حيث أن بعد عودة بورقيبة من القاهرة وجد ظروف مهيأة داخل الحزب الدستوري الجديد بفضل صالح بن يوسف

هذا كان اتجاه ثوري عكس بورقيبة الذي تميز باللين مع فرنسا وكان رافضا لأفكار صالح بن يوسف الذي دعا إلى الكفاح المسلح والرافض للاستقلال الذاتي، هذه النقاط أدت إلى وقوع نزاع بين بورقيبة وصالح بن يوسف، وكان الانتصار لبورقيبة المدعوم من قبل فرنسا فاستطاع أن يزيح صالح بن يوسف لتبقى الساحة للحبيب بورقيبة مخلص تونس من الاستعمار الفرنسي.

الملاحق

الملحق رقم (01): الزعيم الحبيب بورقيبة[1]

[1]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص200.

الملحق رقم (02): بطاقة التعريف للحبيبة بورقيبة[1]

[1]– عز الدين معزة، المرجع السابق، ص459.

الملحق رقم (03): اعتراف الحبيب بوريقة بالدعم المصري ومساعدة الجامعة العربية له (1950).[1]

اعتراف الحبيب بورقيبة
(رئيس الحزب الدستوري الجديد)
بالدعم المصري ومساعدة الجامعة العربية له (1950)

" لن ننسى نحن التونسيين ما حيينا العون الذي أسدته إلينا مصـــر، وقد استطعنا بفضل الله وتأييد الشعوب العربية وجامعتها، أن نجد في بلدان الشرق الأدنى أسرة كريمة و وطنا ثانيا، وسنذكر على الدوام أن مصر أكرمت جميع اللاجئين والمجاهدين الذين قصدوا إليهـــا مـــن إفريقيـــا الشمالية وفي مقدمتهم رئيسنا الجليل الأمير عبد الكريم الخطابي الـــذي يتولى إدارة لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة"[1].

[1]– أحمد بشيري، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط2، دار ثالة، 2009، ص 35.

الملحق رقم (04): عودة الحبيب بورقيبة من القاهرة[1]

[1]– خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص122.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

- بلخوجة الطاهر:الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على العصر،دار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999.
- الثعالبي عبد العزيز: تونس الشهيدة، ط1، دار القدس، بيروت، لبنان، 1975.
- سعيد الصافي: بورقيبة سيرة شبه محرمة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2000.
- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح مذكرات، تونس، 1905-1925، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976.

ثانيا: المراجع

- أبو زكريا يحيا: الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي إلى الغنوشي، 2003.
- بشيري أحمد:الثورة الجزائرية و الجامعة العربية،ط2،دار ثالة،الجزائر،2009.
- الجمل شوقي عطا الله: المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب الأقصى، المكتب المصريّ توزيع المطبوعات، القاهرة، 2007.
- الجمل شوقي عطا الله، عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، 2007.
- جوليان شارل أندري: إفريقيا الشمالية تسيير قوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الجزائر، 1976.
- الخرفي صالح: عبد العزيز الثعالبي من آثاره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1995 .
- داهش محمد علي، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مكتب الكتاب الأكاديمي، عمان، 2012.
- الزمرلي الصادق: أعلام تونسيون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

- السرجاني راغب: قصة تونس من البداية إلى الثورة 2011، ط1، دار الأقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة،2011 .
- الشاطر خليفة و اخرون:تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال،ج3،مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية و الإجتماعية،تونس،2005.
- الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط2، تعريب: محمد شاوش وآخرون، دار سراس للنشر والتوزيع،تونس، 1993.
- شاكر محمود: التاريخ الإسلامي المعاصر لبلاد المغرب، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996.
- عامر محمود علي: تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2006.
- عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1881-1956، ط1، منشورات المعارف للطباعة والنشر، تونس،1975،
- الفاعوري إبراهيم: تاريخ الوطن العربي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
- علي محجوبي: الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986.
- القصاب أحمد: تاريخ تونس المعاصر(1881-1956)ترجمة حمادي الساحلي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1986.
- محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1982.
- ياغي اسماعيل أحمد: تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000.
- يحي جلال: المغرب الكبير وحركات التحرر والاستقلال، ج3، الدار القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية،1966.

ثاليا:الموسوعات

- بوذينة محمد: أحداث العالم في القرن العشرين 1940-1949، ج5، منشورات محمد بوذينة، تونس.
- عيد عاطف: موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية تونس والجزائر، إيديتو للنشر، بيروت، 1999.

- الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

رابعا:الرسائل الجامعية

- غضبان حدة: عبد العزيز الثعالبي ودوره في الحركة الوطنية التونسية، رسالة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2012.

- غفصي خليصة: بورقيبة والثورة الجزائرية1954-1962، رسالة ماستر، التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2011-2012.

- قدادرة شايب: الحزب الدستوري التونسيّ الجيد والحزب الشعب الجزائري (1934-1954)، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة،2008.

- معزة عز الدين: فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

- مناصرية يوسف: الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934، رسالة ماجيستير: معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986، ص 28.

- واعر آمال: بورقيبة ودوره في الحزب الدستوري الجديد 1934-1956، رسالة ماستر في تاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015.

خامسا:مراجع بالأجنبية

- Mahjoubi- Ali : Les Origines Du MouvmentEntynisie, 1904-1934, Puplication De L'universite De Tunise,1982

- Raynond Andri , anponcet : la Tunisie presses unversitowes de Frances, 1971, paris.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

إهداء

تشكرات

مقدمة..... أ

الفصل الأول: شخصية الحبيب بورقيبة

أولا- مولده ونشأته..... 07

ثانيا- ثقافته 08

ثالثا- مساره النضالي والقيادي..... 11

رابعا- الآثار الفكرية للحبيب بورقيبة 17

الفصل الثاني: نضال بورقيبة ضمن الحزب الحرّ الدستوري التونسي

أولا- نشأة الحركة الوطنيّة التونسية 21

ثانيا- تأسيس الحزب الحرّ الدستوري التونسي 1920 23

ثالثا- نشاط الحزب الحرّ الدستوري التونسي 29

رابعا-نشاط بورقيبة في الحزب الحر الدستوري التونسي 32

الفصل الثالث: نضال بورقيبة ضمن الحزب الدستوري الجديد (1934–1952م)

أولا: تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد والصراع بين الجيلين 36

ثانيا: نشاط بورقيبة ما بين (1934-1939م) 40

ثالثا: نشاط بورقيبة ما بين (1939-1945م)..... 45

ثالثا: نشاط بورقيبة ما بين (1945-1952م)..... 49

خاتمة..... 56

ملاحق..... 59

المصادر والمراجع..... 64

فهرس المحتويات..... 68